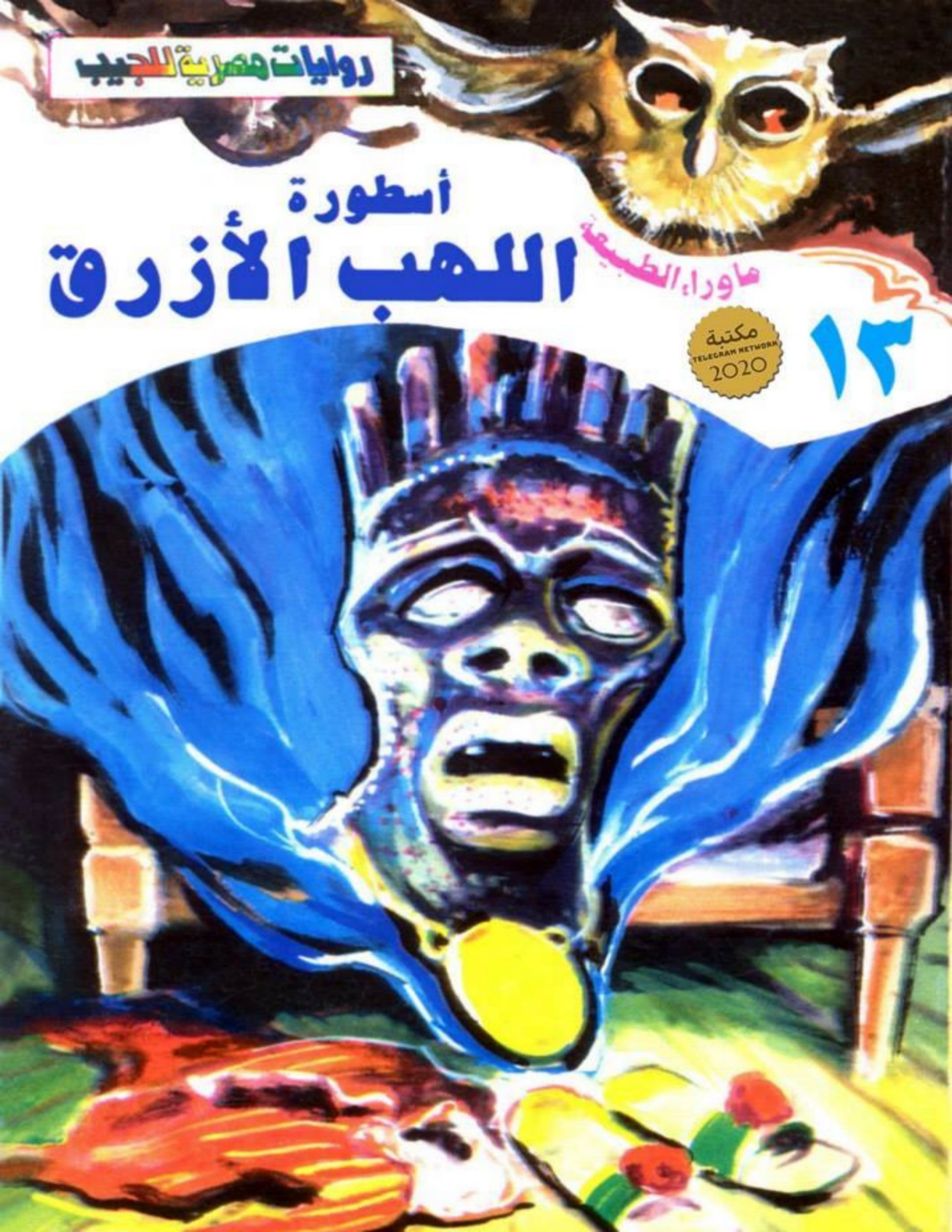


روايات مصرية للجيب
أسطورة
اللهب الأزرق
ما وراء الطبيعة
١٢
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020

مكتبة

Telegram Network

2020

«المكتبة النصية»

قام بتحويل سلسلة:

(ما وراء الطبيعة)

» لـ د. أحمد خالد توفيق «

إلى صيغة نصية:

(فريق الكتب النادرة)

يزن – المملكة المتحدة


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

١٣

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

أسطورة اللهب الأزرق

روايات مصرية للجيب

●

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو
الاقتباس

●

بريشة

الأستاذ/إسماعيل دياب

●

إشراف

الأستاذ/ حمدي مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة – المطابع ١٠،٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية – منافذ البيع ١٠،١٦ شارع كامل صدقي الفجالة– ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري روكسى مصر الجديدة – القاهرة ت ٢٨٣٥٥٥٤– ٥٩٠٨٤٥٥– ٢٥٨٦١٩٧ فاكس – 202/2596650 ج.م.ع.
4 شارع بدوي / محرم بك – الإسكندرية

روايات مصرية للجيب



ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس

من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة اللهب الأزرق

بقلم:

د. أحمد خالد توفيق



مقدمة

الحكاية الثالثة عشرة..!

لماذا تشاءم الأقدمون من هذا الرقم؟.. إن لهذا قصة طويلة سأحكيها لكم يومًا ما، حين أتناول أسطورة الرقم المشئوم..، أما الآن فدعوني أقل لكم إننا قوم لا نتطير ولا نتشاءم ونحب الفأل..

أسوأ ما سيحدث لنا اليوم- وأرجو ألا يحدث - هو أن بعضكم قد لا يحب هذه الحكاية.. فإذا شعر أحدكم بذلك فليلمني أنا ولا يلم الرقم (١٣)!..

أنا د. (رفعت إسماعيل).. الشيخ الطاعن في السن الذي كان يومًا ما طبيبًا شهيرًا،

ومحارب خرافات، ومنقبًا في كهوف ما وراء الطبيعة..

وكما قلت لكم مرارًا.. لم أتزوج قط لأن من عاش حياتي لا يتزوج.. هذا هو كل ما أستطيع قوله عن نفسي..

والآن دعونا ندخل عالمًا آخر من المشاكل والشخصيات، ونتعرف على أسطورة جديدة من التي ملأت أحلامي بالكوابيس..

اللهب الأزرق..

هل سمعتم عنه؟

هل تخيلتم كيف يبدو؟..

أنا سأريكم اللهب الأزرق، وسأحكي لكم عن أسراره.. إن القصة حقيقية تمامًا

ومعروفة.. لكني سأجعلكم تعيشون فيها لحظة لحظة.. وستعرفون..

إن العجوز (رفعت إسماعيل) لم يزل قادرًا على أن يكون مسليًا...

فقط لا تزعجوني بالتعليقات..

وأصغو إلي جيدًا..

❋ ❋ ❋

١- رحلة جديدة..

لم أكن خائفًا..

فقط كنت في حالة ذهول تام لأنني لم أجرؤ قط على تخيل أن كل هذا ممكن.. لم أتصور أن هناك شيئًا بهذه القسوة..

لم أكن خائفًا..

فقط انتصبت الشعيرات الباقية في رأسي وعلي ساعدي، وشعرت كأن الجليد يتكاثف فوق عمود الفقري..

لم أكن خائفًا..

لكن الهاجس قال لي إنني يجب أن أولى الأدبار في الحال إذا ما رغبت في النجاة، وكالعادة تجاهلته متظاهرًا بالشجاعة..

كان الدخان يفعم الهواء حتى أننا كدنا نبصق رئتينا من فرط السعال.. صاح (هاري) وقد بدا لي كأحد أبطال أفلام (الوسترن) بشعره الأشقر المنتثر على وجهه وعضلاته القوية:

- (رفعت)!.. يجب أن نهشم الباب..

كان الباب الخشبي العملاق يقف أمامنا متهكمًا من محاولاتنا الخرقاء.. إلا أننا تراجعنا للوراء واندفعنا بكتفينا موجهين له أعنف ضربة ممكنة.. معذرة!.. لم نوجه الضربة للباب بل لكتفينا!...

- (هاري!.. لا جدوى.. فلنحضر ما يصلح لتهشيم الباب..

- لا وقت لذلك.. حاول ثانية..

ونادى في هستيريا عالمًا أنه لن يتلقى ردًا:

- مس (جونز)!

ثم إننا وثبنا كقذيفة المدفع نحو الباب متوقعين نفس الكدمات السابقة لكنه كان قد سئم الصمود.. وسرعان ما انفتح الباب لنجد نفسينا واقعين على الأرض مهشمي الأوصال.. وفي إعياء نهضنا..

كان الدخان يفعم المكان ويجعل الرؤية متعذرة..

لكننا - وسط سعالنا ودموعنا - نجحنا في اختراق الغشاوة.. واستطعنا أن نرى ما انتهى إليه الحال في الداخل..

يا الله!.. ساعدني على أن أنسى..

* * *

النصف الأول من عام ١٩٦٧

أحزم حقائبي متأهبًا للسفر إلى الولايات المتحدة..

كنت قد خرجت لتوي من مغامرتي مع البيت.. البيت الذي اشتاق لأصدقاء الصبا فقرر أن يعابثهم بألعاب الموت..، وكنت قد فارقت هؤلاء الأعزاء بعد المعاناة المشتركة التي عشناها معًا.. فارقتهم على وعد باللقاء الذي لن يتم كالعادة.. لكني كنت راضيًا سعيدًا.. مكتفيًا بالذكرى المشتركة التي برغم شناعتها لم تكن سيئة إلى هذا الحد..

أحزم حقائبي بينما غيوم الحرب تلوح في الأفق.. الكل يصارحني:

- هل أنت مجنون؟.. ليس هذا وقتًا مناسبًا للسفر.

- إن شهر (يونيو) لن يمر دون حرب.. لكني مضطر للسفر...

إن أعمالًا كثيرة تنتظرني هناك ولا أتصور لحظة أن أؤجل كل هذا العمل إلى أن تستقر الأمور، فقط ودعت (هويدا) وأصدقائي ثم ركبت الطائرة متجهًا إلى الولايات المتحدة عاقدًا العزم على أن تستغرق رحلتي أسبوعًا أو عشرة أيام على الأكثر..

أنا لا أحب الولايات المتحدة ولا أجد نفسي فيها.. وأفضل عليها أوربا التي تعبق

بالتاريخ وندوب المسامير التي دقها مئات المفكرين في بناء الحضارة البشرية.. إن الولايات المتحدة ثرية نعم.. متقدمة حقًا.. لكنها خالية من الحياة، وكما قال المفكر المصري أ. د. (عاطف العراقي) فإن التقدم موجود في أمريكا لكن الحضارة موجودة في أوربا.. وشتان ما بين التقدم والحضارة!، شتان ما بين الثراء والذوق.. شتان ما بين البهرجة والأناقة... لحسن الحظ أنني لن أقضي وقتًا طويلًا في بلد محدثي النعمة هذا.. على أنني - بعد أن أنهيت أعمالي - طلبت رقم هاتف صديقي الحميم مهندس الكمبيوتر (هاري شيلدون).. هل تذكرونه؟.. إن من قرءوا مغامراتي مع (الزومبي) في (جامايكا) لن

ينسوا (هاري شيلدون) أبدًا وزوجته (لندا) وطفلهما الشقي الجميل..
كان (هاري) يقيم في (فلوريدا) كما تذكرون.. وكنت أنا في ولاية (بنسلفانيا) في (هاريسبرج) عاصمة الولاية، ولم أنس بالطبع أن أجعل ثمن المكالمة على المتلقي**!**.. إلا أن هذا لم يثر حفيظته بل إنه أصر على أن يأتي لي في (بنسلفانيا) خصيصًا كي يكرم وفادتي ما دمت عاجزًا عن اللحاق به في (فلوريدا)..
وهكذا..
وجدت ذلك الشاب الأشقر مديد القامة واقفًا في بهو الفندق الذي أقيم به.. كان يرفع قبضته في الهواء صائحًا بحركة تمثيلية أثارت انتباه كل الموجودين:

- (كوديكا)!.. (كوديكا)!..

والكلمة - إن كنت نسيت - معناها (إلى الجحيم) بلغة سكان (جامايكا) المحلية.. إنه يمزح!.. لكنه مزاح سمج.. المهم أنني هرعت نحوه كي أخرسه... وتحملت - في صبر - لكماته على الكتفين وصيحاته الهستيرية على الطريقة الأمريكية:

- هلم يا صغيري!.. لا تلعب دور الرزين البارد.. دعنا نر أي وغد عجوز صرته!

- أ.. (هاري).. هلا كففت عن الصراخ لحظة؟.. إنك تفزعني..

مشكلة هؤلاء الأمريكيين هي أنهم لا يخجلون.. ولا يخشون أن يراهم الآخرون سخفاء، لهذا يفعلون ما يتبادر لذهنهم عفو الخاطر..

- لقد قطعت مسافة طويلة من (فلوريدا) خصيصًا لأجلك.. وهأنذا تعاملني كرفيق زنزانة قديم جاء ليعيد لك ذكرى ماض كريه!

وصعدنا إلى حجرتي.. وطلبت له كوبًا من العصير..

- هل تذكر مغامرتنا مع (الزومبي)؟.. هي.. هي! والأم (مارشا)؟

- ومن ينساها؟

وجلسنا نتحدث عن الماضي.. وعن أحواله وأحوالي..

بالطبع لم أنس أن أحكي له قصتي مع (العساس) ومع لعنة الفرعون ومع البيت و.. و..، وهنا وجدت عينيه تتسعان وفمه ينفتح كالأبله:

- (رفعت)!.. دعني أصارحك.. أنك لست إلا واحدًا من اثنين.. إما كاذب كبير وإما أتعس سكان الأرض حظًا..!

- أنا لا أحب الكذب.. وعلى كل حال أنت عشت معي قصة (الزومبي)...

- إذن فأنت منحوس إلى حد لا يصدق..

وحك رأسه في حيرة.. وأردف:

- هل تعرف؟.. هناك في دراسات البيولوجيا الحيوية ما يؤكد أن هناك أشخاصًا تحدث لهم المتاعب أكثر من سواهم.. إنهم ليسوا أكثر خرقًا ولا غباء من الآخرين.. لكن هناك شيئًا ما يجعلهم الأكثر إبتلاء..

- أصدقك تمامًا..

وبعد هنيهة تفكير بدأت أسأله عن أسرته.. فقال إنهم جميعًا بخير..، وكم من الوقت ينوي أن يمضيه معي؟.. حوالي أسبوع خاصة وأن رحلتي تنتهي بعد أسبوع، وبالتالي فلا داعي لإضاعة الوقت.. هلم نمرح على الطريقة الأمريكية..

❋ ❋ ❋

ولكن ما هو المرح المتوقع في ولاية حجر الأساس الأمريكية؟..

لا شيء سوى مصانع الحديد والصلب المنتشرة في كل مكان.. وربما نزهة على شاطئ بحيرة (إيري).. ثم لا شيء أكثر سوى الجو الأمريكي العام...

صحيح أنك على كثب من (نيويورك) و (أوهايو) و (فرجينيا) - وكل منها تحمل ما تحمله من ارتباطات في الذهن - لكنك برغم ذلك بعيد.. بعيد جدًا..

ستدخل ألف مطعم لتتناول شطائر (الهمبرجر) و (الكلاب الساخنة).. وستذهب للسينما مرارًا.. وتركب زورقًا في البحر محاولا تناسي دوار البحر اللعين.. سيعلمونك مضغ اللبان الأمريكي والكلام من أنفك والسيجارة متدلية من شفتيك..

ستذهب للملاهي الليلية لتمزق طبلتي أذنيك نغمات (الروك أند رول) وعلى الأرض تسيل أنهار الجعة في حين يتلوى الراقصون كأنهم في الجحيم..

وترى عصابات الدراجات البخارية على كل منها شاب أخرق يرتدي سترة جلدية سوداء.. ولربما - إذا حالفك الحظ - لا تتلقى علقة بالجنازير أو تُسرق دولاراتك المعدودة..

هذه هي (أمريكا)..

لا أدري لماذا يمزقني الحنين لـ (كفر بدر) هذه الأيام بالذات؟!

* * *

كنا نقطن في فندق صغير على أطراف الولاية نتخذه كنقطة انطلاق لجولاتنا المتعددة..

وأتاح لي صغر حجم الفندق جوًا حميمًا أمكنني فيه أن أعرف سكان الفندق بشكل

أفضل، وبالتالي كان باستطاعتي أن أقسمهم إلى أنماط أو مجموعات متفرقة..
أولًا: كانت هناك مجموعة الشيوخ الذين يجلسون - كالبوم - يرمقون ما يدور حولهم في شك.. وكلهم إنجليز..
ثانيًا: مجموعة الشباب المرح وهم عدد من الفتيان والفتيات المخطوبين أو المتحابين أو المتزوجين..
ثالثًا: مجموعة (زهور الحائط) - كما يقول الأمريكان - وهي مجموعة من الانطوائيين الصامتين الذين يراقبون ما يحدث دون ضيق ولا شغف.. ولا تستطيع أبدًا أن تعرف فيم يفكرون..
رابعًا: مجموعة الفضوليين الذين يراقبون المجموعات الثلاث الأخرى في اهتمام..

وأفراد هذه المجموعة اثنان فقط.. أنا و (هاري)!..
خامسًا: الإدارة.. وتتكون من (جين) الحسناء المرحة ذات الميدعة البيضاء والغمازتين.. مس (جونز) مديرة الفندق العانس العجوز الشمطاء.. و (باتريك أوكونور) الساقي ذي الأصل الإيرلندي.. ثم طاهيين..

هناك - كذلك - كلبان وقط..

هذه هي الخلطة البشرية المقيمة بالفندق قدمتها لك على غرار قصص (أجاثا كريستي).. وما دمت أتبع أسلوب (أجاثا كريستي) فإن لك أن تتوقع مصيبة ما وكيف يتفاعل معها البشر الموجودون..

حسن.. إن حدسك لم يخطئ كثيرًا..

بالفعل ستحدث كارثة..

لكنها لن تكون جريمة قتل يميط القناع عنها (هركيول بوارو).. بل هي شيء آخر.. شيء بشع.. أبشع من كل جرائم القتل التي سمعت عنها..

ولكن....

دعنا لا نسبق الأحداث...

❋ ❋ ❋

الجـــزء الأول
حادث غير متوقع
تحكيه (جين) خادمة الغرف

"إن لي عيبًا أصارحكم به هو أنني لا أحب الجثث المحترقة!، لربما أدى هذا إلى صعوبات في تعاملي مع المشاكل اليومية لهذا الفندق.. لكني أرجو أن تغفروا لي ذلك العيب! ".

* * *

تقول (جين):

عجوز شمطاء هي مس (جونز) مديرة الفندق.. أحبها بلا تحفظ.. وهي - اؤكد لكم - تخفي تحت شعرها الأبيض المعقوص عقلًا ذكيًا نابضًا وقلبًا شفافًا مفعما بالعواطف..

ولولاها لما تحملت هذه الحياة المملة... وتظرف المتظرفين ومن يحسبون أنفسهم فاتنين للنساء خاصة ذلك الإيرلندي السخيف (باتريك أوكونور) الساقي الذي يحسب أن كوني زميلته في العمل يجعلني ملكه بشكل أو بآخر..

وتيرة حياتي لا تتغير في هذا الفندق..

في الصباح أستيقظ من النوم قبل الجميع في غرفتي الحقيرة، فأرتدي ثيابي وأطعم القط والببغاء وأهرع إلى المطبخ لأجد الطاهيين عاكفين على إعداد الإفطار..، وتكون مس (جونز) قد صحت من نومها وجاءت لتراقب سير العمل.. أما أنا فأعد موائد الإفطار سريعًا..

عندئذ يكون السيد (أوكونور) قد وصل وبدأ يداعب خصلات شعره الأشقر في خيلاء، ويقول عبارته السمجة المعتادة:

- هاي سندريللا!

فأهز رأسي في سأم.. وأعاونه في ترتيب المقاعد على حين يبدأ النزلاء - هؤلاء الكسالى - يتجمعون في قاعة الطعام.. هذه المجموعة المعتادة في فندقنا.. دائمًا السياح

الإنجليز الشيوخ الذين يرمقون في فضول ما يدور حولهم.. ودائمًا الشبان المتظرفون مع فتياتهم المائعات.. ثم (زهور الحائط).. دعك - بالطبع - من الشاب الأمريكي الوسيم الأشقر ومرافقه الأصلع النحيل ذي النظارة السميكة.. هذا الأخير لا يمكن أن يكون أمريكيًا أو أوربيًا.. بالواقع هو لا يبدو شبيهًا بأية جنسية من جنسيات الأرض!، وهو يدخن كقطار عتيق من القرن الماضي ولا يكف عن اختلاس النظر للآخرين!...

ويبدأ الجميع في التهام طعام الإفطار - كأفراس النهر في حديقة الحيوان - فأفارقهم صاعدة إلى الطابق العلوي لأرتب

أسرتهم وأستبدل البياضات مع بعض الكنس الذي لابد منه..
خمسون غرفة أقوم بترتيبها.. ربما أكثر أو أقل.. وهو مجهود مرعب لكن ليس مستحيلاً..
بالطبع لابد من أن أجد أشياء غريبة من حين لآخر نسيها هؤلاء...
لن أحدثك عن النمر الوليد الذي وجدته في غرفة أحد أثرياء الجنوب.. ولا عن مجموعة علب الثقاب التي يحتفظ بها أستاذ جامعي من (منيسوتا).. ولا مجلات الأطفال التي وجدتها عند عجوز تجاوز عمرها السبعين..
سأحدثك عن شيء وجدته في الغرفة رقم (٢٩) اليوم فقط..

إن ساكن هذه الغرفة هو عجوز إنجليزي متحذلق يحمل طابع بناة الإمبراطورية الأوائل.. بترفعه وتحذلقه ولغته المنمقة التي درس كل مخارجها الصوتية قبل أن ينطقها..، يدعي هذا العجوز بـ (لورد كينزي) ولا أعرف سبب نزول لورد مثله في فندقنا المتواضع..

وأنا لست حمقاء...

إن هذا الـ (كينزي) يخشى شيئًا ما ولعله مختبئ في فندقنا لمجرد الفرار من هذا الشيء..

أنا أفهم هذه النظرات المذعورة القلقة المتوترة، وأفهم تلكم الالتفاتات المستريبة إلى ما وراء الكتفين..، ومراقبته الحذرة لكل وجه جديد... أنا أعرف هؤلاء

اللصوص الفارين الذين يتظاهرون بأنهم من علية القوم.. وأعرف كل شيء عن النازيين القدامى الفارين من انتقام اليهود.. الجديد هنا هو أن اللصوص والنازيين يختبئون - دائمًا - في أمريكا الجنوبية وليس في (بنسلفانيا)..

لربما كانت بوصلة هذا ال (كينزي) معطلة حين جاء لنا..!

دعونا من هذا.. كنت أقول لكم إنني بدأت في تنسيق غرفته..

حين سقط شيء ما على الأرض وتهشم..

وهنا أجد لزامًا علي أن أقدم اعترافًا صغيرًا.. لقد سقط هذا الشيء حين فتحت الدولاب الجداري لأرى ما به.. أعلم أن هذا الفضول ليس محمودًا ويتنافى

والأمانة، لكني - أقسم لكم - لم أبغ سوى إلقاء نظرة.. مجرد نظرة.. لقد سبق لي في مرات عديدة أن وجدت أكداسًا من المجوهرات ملقاة بكل إهمال لكني لم أمسها لأنني لست لصة.. أنا - فقط - فتاة فضولية أخرى..

لكن حظي العاثر جعلني أسقط شيئًا كان مستندًا إلى (ضلفة) الدولاب، وهذا الشيء - كما قلت لكم - تهشم..

يا له من مأزق..!

كان هذا الشيء عبارة عن تمثال.. تمثال قبيح جدًا بارز الشفتين وقد تحول إلى عشرة أجزاء أو أكثر.. هناك حيث تناثر على أرضية الغرفة الصلبة..

ترى ماذا أفعل؟

هل ألصق الأجزاء؟.. من السذاجة أن أعتبر هذا حلًا لأنه يجب أن يكون أعمى - الرجل لا التمثال - كي لا يلاحظ ما حدث..

هل أحمل له البقايا وأعتذر له بلباقة؟ لكن ماذا لو كان التمثال ثمينًا؟ وماذا لو لم يقبل اعتذاري؟..

أما لو أغلقت الغرفة - ببراءة - وتناسيت الأمر، فإنه سيعرف بالتأكيد أنني المسئولة.. لأنني الوحيدة التي تملك مفتاح الغرفة سواه..

إن هذا اليوم اللعين سينتهي بطردي أو ما هو أسوأ.

ماذا أفعل يا ربي؟..

وهنا سمعت صوت رجل يتنحنح على الباب..

❋ ❋ ❋



كان هذا الشيء عبارة عن تمثال .. تمثال قبيح جداً بارز الشفتين وقد تحول إلى عشرة أجزاء أو أكثر ..

كان هذا هو (باتريك)..
للمرة الأولى في حياتي أشعر بالراحة لأنني أقابل هذا السمج.. دخل الغرفة وقد بدت الدهشة في عينيه الزرقاوين:
- (جين)!.. ماذا قد حدث؟..
جلست على مقعد خشبي كان هنالك.. وهمست في استسلام:
- كما ترى...!
- لم أتصور أن تفعلي أنت بالذات هذا..
صحت في غل وقد ضايقتني النغمة (التربوية) في صوته:
- اسمعني أيها الإيرلندي.. لقد تهشم وانتهى الأمر ولا حاجة بي لسماع آرائك في الفتيات المهنيات.. لم أطلب منك أن تتزوجني..

هتف بلهجته الإيرلندية وهو ينحني ليلتقط قطعة من الحطام ليتأملها عن كثب:
- هلا هدأت قليلًا؟.. يبدو لي هذا التمثال ثمينًا..
- كان...!
ثم إنه جلس على حافة الفراش وشرع يداعب شعره الأشقر مفكرًا.. لحظات من الصمت ثم غمغم في شرود:
- سيعرفون أنك المسئولة حتمًا..
- نعم وستطردني (الريسة).. أعرف كل هذا..
وهنا ابتسم في خبث والتمعت نظرة ظفر في عينيه:
- ولكن عندي فكرة..
- أنت محظوظ..

- سنجعل الأمر يبدو كجريمة سرقة عادية..!
- ماذا..؟!..
وشرع - في حماس - يحكى لي خطته..، إن عدم وجود آثار عنف يوحي بلا شك أن من عبث بمحتويات الغرفة هو أنا.. أما لو ظهرت آثار تفتيش وآثار عبث بقفل الباب فهذا يدل على أن الجاني هو أي واحد من الذين لا يملكون مفتاحًا.. واحد من النزلاء أو (أوكونور) أو مس (جونز) نفسها.. المهم أن الشرطة أو صاحب الغرفة لن يعرفوا أبدًا من فعلها.. فكرة لا بأس بها.. لكن..
- لكنني لن أسرق شيئًا!.

- ومن قال ذلك؟... سنفترض أن اللص لم يجد ضالته وانصرف بخفي حنين.. هذا وارد...

كان (باتريك) يرتدي قفازين أبيضين بحكم عمله ساقيًا.. لهذا شرع على الفور ينفذ خطته المرتجلة لإنقاذ الموقف.. ولم ير ضرورة لإزالة بصماتي لأن وجودها متوقع.. في البدء رتبت الحجرة وأغلقتها.. كأنني أنهيت عملي قبل السرقة.. ثم جاء (باتريك) وبدأ - بسكين صغير- يعبث في القفل ثم فتحه بشيء من العنف.. ثم إنه دخل الغرفة وفتح أدراج الكومودينو

وباقي ضلفات الدولاب وألقى ببضعة أشياء على الأرض..

وهنا وجدنا لدهشتنا قلادة ذهبية غريبة الشكل بين هذه الأشياء.. قلادة تحمل رأسًا شبيهًا برأس التمثال المهشم.. وكانت على ظهرها نقوش لم يتسع الوقت كي نتأملها..

نظر لي (باتريك) في حيرة.. ثم همس:

- هل تعرفين يا (سندريللا)؟.. ربما كان من الحكمة أن تأخذي هذه القلادة معك.. إذ كيف نبرر أن يتركها لصنا المفترض؟

- قلت لك إنني لن أسرق!

- ومن قال إنها سرقة؟.. سنخفيها بعض الوقت فقط ثم ندسها في حقائبه بعد أن تنتهي ضوضاء المشكلة..

قالها وهو يدس القلادة في جيب الميدعة الخاصة بي..

كان كلامه منطقيًا.. ولم أستطع سوى أن أقبل في استسلام ما طلب..

- والآن.. هيا نهرب قبل أن يعود...

واختفى من الغرفة تاركًا إياي مبلبلة الذهن..

حل أحمق لتصرف أحمق.. وهأنذا قد تورطت حتى أذني في هذه اللعبة القذرة.. يقولون إن الفضول قتل القط.. ومن الواضح أنه قادر على تدمير حياة (سندريللا) ذاتها..

سامحني يا إلهي وأنقذني من هذه الورطة..

المشكلة أنني مضطرة للتمادي في هذا الموقف إلى آخره.. فلا يجب أن يجد رجال الشرطة هذه القلادة بين حاجياتي وهي -

حتمًا - أول حاجيات سيتم تفتيشها في هذا الفندق..
لهذا تسللت إلى حجرة مس (جونس) ولم تكن موجودة طبعًا..
إلى المخبأ الذي عرفته بالصدفة في غرفتها.. إن سريرها من طراز عتيق له مقبضان من النحاس المجوف عند رأسه.. وهذان المقبضان متحركان يمكن دومًا إخفاء ما تريد فيهما.. والغريب هو أنها لا تعرف ذلك حتى اليوم.. لهذا كنت أضع مدخراتي في هذا المكان طيلة العام الماضي بعيدًا عن غرفتي مطمئنة إلى أن أحدًا لن يجد هذا المخبأ المتقن.. سأخفي هذه القلادة يومين أو أكثر إلى أن أجد سبيلًا لإعادتها دون ضوضاء..

إن أحدًا لن يشك في مس (جونز).. ولو حدث فإنه لن يفكر في هذين المقبضين أبدًا..

وأتممت مهمتي في ثوان وعدت أواصل عملي..

❋ ❋ ❋

ما إن دخلت المطبخ حتى وجدت (باتريك) يصيح في مرح وهو يفتح ذراعيه:

- (سندريللا)!.. أخيرًا عاد الهدوء!.

تبدلت ملامح وجهي في تنمر.. وقلت له ضاغطة على كل حرف من حروف كلماتي:

- اسمع يا (باتريك)!.. كانت ورطة أنقذتني منها وأنا لك شاكرة لكن إذا حسبت لحظة أن هذا يعطيك حقًا ما أو أن هذا السر المشترك قد قرب بيننا بشكل أو بآخر.. فأنت مخطئ!

ثم تناولت زجاجة لبن من الثلاجة وأزاحت غطاءها المعدني:

- أنا لست مدينة لك إلا بالشكر!

وجرعت اللبن البارد غير عابئة بالخيط الذي بدأ يسيل على ذقني على حين تأملت - في رضا - نظرة خيبة الأمل التي انهزمت بها ملامحه.. كنت قاسية لكنني لا أريد منه أن يتبسط في الحديث عن (سرنا المشترك).. أو أن يحسب لحظة واحدة أنني مدينة له بمستقبلي..

- أنت قاسية يا (سندريللا).. امسحي ذقنك!

- اسمي (جين هاربروك).. وذقني هي ذقني أنا ولا دخل لك فيها..

هز كتفيه في تظاهر باللامبالاة وشرع يمارس عملًا وهميًا لمجرد أن يخفي الجرح الذي أصاب كبرياءه..

كان يدندن لحنًا لإحدى أغنيات (توم جونس) السخيفة فتركته وبدأت أعد نفسى للعاصفة القادمة..

ستكون لحظات قاسية.. ولأسمعن الكثير من الصراخ..

لكني سأتحمل.. يجب أن أتحمل..

* * *

مر اليوم دون مشاكل..!..
وهذا في حد ذاته أمر غريب..
أمام عيني صعد هذا الـ (كينزي) إلى غرفته ودخلها.. ثم غادرها.. وعاد لها بعد ساعة.. هكذا!.. ولا كلمة.. ولا حرف...
لقد وجد الرجل آثار المذبحة التي حدثت لغرفته..
آثار السطو والتمثال المهشم.. و... و... وكل ما جهدنا كي نقنعه به.. وبرغم هذا.. برغم كل هذا - يا إلهي الرحيم - لم يبد رد فعل واحدًا!
كنت أتوقع أن أسمع صراخه وأن يملأ رجال الشرطة ردهات الفندق بعد ثوان، وأن تقوم الدنيا فلا تقعد.. لكن شيئًا من ذلك لم يحدث.. أي نوع من الرجال هو؟..

ما الذي يدعو رجلًا عاقلًا كي لا يحدث ضوضاء حين تقتحم حجرته ويعبث بها بهذه الفظاظة؟..

* * *

إنه لغز..
من المستحيل أن أفترض أنه لم يلحظ..
الصواب هو أن نقول إنه لا يريد شوشرة..
ولماذا لا يريد شوشرة؟.. الإجابة واضحة.. لأن حدسي لم يخطئ حين افترضت أنه هارب من العدالة..
ومعنى هذا أن هذا الرجل سيبدأ البحث عن مقتحم حجرته..
ولما كان سيعتمد على الجهود الذاتية في البحث فإن هذا يعني أن عقاب اللص لن

يكون تقليديًا أبدًا!..
إن رأسي يكاد ينفجر..
لربما كان الصمت والترقب هما الحل الأحوط..

* * *

في المساء ذهبت إلى مس (جونز) حاملة سلطانية من الحساء - عشاءها - معها ليمونتان وزجاجة الدواء..
كانت جالسة على حافة الفراش وقد فكت خصلات شعرها الأشيب لتنساب على كتفيها.. وكانت تقرأ الكتاب المقدس كعادتها ليلًا..
لشد ما أحب هذه المرأة وأرتاح لها..!..

ما إن رأتني حتى أغلقت الكتاب وتأملتني في شرود.. ثم همست:

- (جين)؟.. ماذا تخفين عنى؟.

عيناها الرماديتان المغلفتان بغشاوة من ضمور الشيخوخة ترمقانني في تركيز.. لا أطيق هذه النظرة.. لا يجب أن تفلت مني نظرة إلى المقبضين النحاسيين حيث سري الصغير..



كانت جالسة على حافة الفراش وقد فكت خصلات شعرها
الأشيب لتنساب على كتفيها ..

هززت رأسي بمعنى أنني لا أدري عم تتحدث.. فأردفت:
- أنت طموح جدًا يا بنيتي.. طموح وجميلة وفقيرة.. أنا أفهم كل هذا.. والفتاة في مثل ظروفك ليس لها سوى سبيلين في الحياة.. إما أن تتزوج من رجل ثري أو تغدو غانية!
عم تتحدث هذه المرأة بالضبط؟
- ولما كنت أستبعد السبيل الأول وأنأى بك عن الثاني فإنني أهيب بك أن تتخلى عن طموحك المجنون..
وربتت على كتفي في وداعة:
- إن (باتريك) يحبك.. وهو شاب لا بأس به.. فلماذا لا...؟
- لا..!

صحت في تنمر - على الرغم مني - فأجفلت.. ثم مدت الملعقة إلى الحساء ورشفت رشفة.. وعادت لشرود الذهن..
عسى أن تكون المحادثة قد انتهت..
بعد ثوان من المضغ والشرود عادت ترفع كشافيها الرماديين الفاضحين نحوى وسألتني وهي تمسك ذقني بين أناملها:
- (جين).. ماذا تخفين عني؟
لم أرد.. فهمست وهي تطلق سراح ذقني:
- أنت في رأيي كصفحة كفي.. أعرف كل تجاعيدها وأسرارها، وثقي أنك لن تخفى عني شيئًا.. ولكن ما دمت تؤثرين الصمت فسأتركك لشأنك ولكن ثقي أنني أشعر بحزن مرير..!

سألتها بصوت مبحوح محاذرة أن أنظر لعينيها:

- هل تريدين شيئًا آخر يا سيدتي؟..

- لا يا ملاكي..

- إذن عمت مساء!

وخرجت من الغرفة مبلبلة الفكر..

إنها تعرف.. ولكن ماذا تعرف بالضبط؟.. هل وشى (باتريك) الوغد بي؟.. هذا هو التفسير الوحيد لكلامها الكثير ومحاولتها لعب دور الخاطبة فيما يتعلق به.. ولكن.. لا.. إنها امرأة تعيش بالمُثل ولا تقبل أنصاف الحلول.. ولو علمت ما حدث لكان رجال الشرطة الآن يصطحبونني إلى المخفر..

إذن هو أخبرها بقصة ما اختلقها.. وفي الغالب زعم لها أنني أنسج حبائلي حول نزيل ثري لأتزوجه.. هذا هو التفسير الوحيد لكلامها..

صبرًا أيها الإيرلندي..!.. إن غدًا لناظره قريب..

كنت سائرة في الردهة شاردة الذهن حين وجدت اللورد (كينزي) واقفًا أمام أحد الأبواب يتبادل حديثًا هامسًا مع الأمريكي الوسيم ومرافقه النحيل الأصلع..

وما إن رآني حتى تبدلت نظراته إلى نظرات حادة مرتابة.. وشرع يراقبني كالصقر.. كالصقر!..

إن هذا الرجل يعرف كل شيء..

أقسم على ذلك..

ولكن ما الذي يدبره لي بالضبط..؟.. وما سر لقائه بهذين الرجلين للمرة الأولى؟..

إن أيامًا عصيبة تنتظرني..

أشعر بهذا.. وأثق به..

❋ ❋ ❋

الجــزء الثانـي
القلادة التـي اختفت
يحكيها لورد (كينزي)

"هناك من دخل غرفتي وهشم التمثال وسرق القلادة الذهبية.. يجب أن أجده على الفور.. إن هذا الأحمق لا يعرف حقيقة ما فعله.. ولا يفهم أي خطر يتهدده!".

* * *

يقول لورد (كينزي):
بالطبع لست لوردًا.. وبالطبع ليس اسمي (كينزي). إن هؤلاء الأمريكان لا يعرفون عن الأسر الإنجليزية العريقة سوى النمط المتحذلق الذي يرونه في السينما والذي أجيد اصطناعه.. في حين أن أدائي لا يمكن أن يخدع رجلًا إنجليزيًا..
لكني مضطر.. مضطر..

* * *

في الفندق الذي أقيم به يوجد بعض الإنجليز لكني أجدت التظاهر بالتحفظ حتى

لا يجلس أحدهم معي ويسألني أسئلة محرجة..
يوجد كذلك بعض الشبان المرحين وفتياتهم.. ومجموعة من الانطوائيين - على غراري - ممن يسميهم الأمريكان بـ (زهور الحائط)..، ثم هناك شاب أمريكي وسيم معه رجل نحيل أصلع يدخن كالشاكمان المكسور ولا يكف عن تأمل الناس..
هناك أيضًا مديرة الفندق الشمطاء وخادمة حسناء وشاب أكاد أقسم إنه إيرلندي.. أنا لا أخطى معرفة الإيرلنديين أبدًا..
كل هؤلاء لم يشكوا في أمري..

أوشكوا لكنهم لم يستطيعوا إثبات شكوكهم...

لا أعتقد أن أحدهم يشكل خطرًا على سري لكن الحذر واجب..

* * *

العام ١٩٦١.... على ضفاف نهر (أوكيالي)..

في (بيرو) بأمريكا الجنوبية تحت الشمس اللاهبة ودرجة الحرارة ٤٢ مئوية في الظل.. ومجموعة من علماء الآثار يعملون جاهدين على كشف اللثام عن المزيد من أسرار حضارة (الأنكا)..

هل عرفتم هذا الشاب الأسمر الوسيم الذي يقود الرجال بشخصية كاسحة

وذراعين مفتولين وعلى رأسه قبعة من القش؟...

إنه أنا!.. نعم.. أعرف.. لقد تبدلت كثيرًا.. ولكن صدقوني.. هذا أنا ذا منذ أعوام ست لا أكثر..

أنا عالم الآثار الانجليزي (هنري بنسون) الذي جاء إلى هذه البقعة مع زميليه (فيتزجيرالد) و (إيكن) بحثًا عن أشياء لم يجدها السابقون من حضارة الأنكا..

كنا قد وجدنا معبدًا قديمًا مدفونًا كانت تمارس فيه طقوس عبادة أحد الآلهة الوثنيين إسمه (شاكال)..

وبالحفر بدأنا ندرك عدة أشياء..

أولًا: أن هذا الـ (شاكال) كان يحب أن يقدموا له قرابين من الجثث المحترقة..

والدليل كل هذا الرماد والعظام المتفحمة المدفونة تحت ما لا بد أنه كان المذبح..
ثانيًا: أن شعبًا من أقسى وأغلظ الشعوب على وجه الأرض كان يعيش في هذا الموضع..
ثالثًا: أن هناك نوعًا عامًا من الذعر بدأ يظهر على وجه عمال الحفر ومن يعاونوننا.. وهي علامة ألفها علماء الآثار جميعًا حين تحرك الحفريات معتقدات بالية في نفوس العمال - الذين يكونون غالبًا من أحفاد أصحاب الأثر - لربما وصلت بهم إلى حد التمرد..
. كفي يا سيد.. هذا خطر.. (شاكال).. سحر أسود!

كذا أخبرني (داماسو) رئيس العمال بإنجليزية مهشمة هي للإسبانية أقرب.. لكنني بالطبع اتهمته بالجبن وأمرتهم أن يواصلوا الحفر..

كان ذلك حين ظهر التمثال..

هو تمثال قبيح لوجه يرتدي غطاء رأس من الذي يرتديه الهنود هنا.. وله شفتان غليظتان ونظرة غير مريحة على الاطلاق..

وكان رد فعل الرجال سريعًا.. وسمعت الصيحة تتردد مرارًا:

- (شاكال)!.. (شاكال)!

- صه يا حمقى..!

وشرعت و (إيكين) نتفحص الراس بين أناملنا..

كانت هناك قلادة ذهبية أنيقة تتدلى حول رقبته.. قلادة تحمل وجهًا يماثل وجه التمثال ذاته..

وكان الرجال هنا قد بدءوا ينأون عنا وقد تعالت صيحاتهم كأنما احتشدوا للثورة، فأدركنا أن من الحكمة أن ننهي التنقيب لهذا اليوم..

جمعنا حاجياتنا ووضعنا التمثال في حقيبة جلدية وشرعنا عائدين إلى المنزل الذي نقيم فيه حين هرع (داماسو) يسير بخطاه المترنحة جواري - فهو يملك ساقًا أطول من ساق - وأخذ يهتف في هستيريا:

- سيد لا!.. سيد لا!.. (شاكال) خطر..

انحنيت نحوه في اهتمام.. وسألته:

- ما سر كل هذا الذعر؟.. عرفتكم شجعانًا لا تبالون...

فأخذ يحكى لي لاهثًا كيف أن كهنة (شاكال) كانوا أقوياء يجيدون السحر الأسود.. وأن من يقتحم حرم (شاكال) يحترق حيًا لأن (شاكال) لا يفهم سوى لغة النار.. وهو لا يمزح أبدًا..

- حسن.. هل لمست أنت ورجالك هذه البقايا؟

- لا سيد.. لا نجرؤ..

-. إذن فهي مشكلتي أنا ورفيقيّ.. ألا ترى ذلك؟

❋ ❋ ❋

وفي النزل طفقنا نتأمل التمثال والقلادة اللذين وضعناهما على مائدة فوق ورقة صحيفة.. على حين جلس (فيتزجيرالد) يحلق لحيته..

كان التمثال تحفة فنية - برغم قبحه - ولم يكن أحدنا قادرًا على إبعاد عينيه عنه..، تناول (إيكين) فرشاة صغيرة وطفق ينظف بقايا الغبار المتراكمة على ثنيات التمثال.. ثم أمسك قطعة قماش وبدأ يفرك القلادة..

- ثمة نقوش على ظهرها..

وعلى طريقة علماء الآثار أمسك بقطعة من الصلصال وطبع عليها ثلاث نسخ من ظهر القلادة ثم قطعها بسكينة وناول كلًا منا قطعة عليها انطباع للنقوش...



كان التمثال تحفة فنية ــ برغم قبحه ــ ولم يكن أحدنا قادرًا على

إبعاد عينيه عنه ..

تأملت قطعتي في اهتمام.. ثم غمغمت..
- هي لغة.. لكنني لا أفهم منها حرفًا..
ابتسم (فيتزجيرالد) في فهم وناولني مرآة الحلاقة التي أمامه:
- ربما لأنك تراها مقلوبة.. جرب المرآة...
وضعت المرآة جوار قطعة الصلصال وتأملتها.. ثم هززت راسي:
- لا أفهم حرفًا..
تناول (فيتزجيرالد) المرأة ووضعها جوار قطعته وتأملها لحظة..
ثم....
كيف لم ألحظ هذا التبدل الذي طرأ على وجهه؟.. كيف لم أر الوجوم الذي غمر سحنته والاكفهرار الشديد؟.. كيف لم أفهم

معنى تصلبه وصابون الحلاقة يغطي نصف لحيته؟.. ولا الشعيرات التي انتصبت على ساعديه اللذين استحال جلدهما كجلد الإوزة؟

كيف لم أستنتج أنه فهم المكتوب؟

كل ما لاحظته هو أنه هز رأسه بمعنى أنه لا يفهم حقًا.. ثم جلس صامتًا شارد الذهن.. وبحركات آلية واصل حلاقة ذقنه..

قال (إيكين) وهو يغلف التمثال والقلادة برقائق الألومنيوم:

- إنها حضارة لا نعلم عنها شيئًا.. ولغة جديدة.. لربما احتجنا إلى (شامبليون) جديد ليكشف لنا أستارها.. على كل حال نحن واثقون أن هذه النقوش تضم كلمة (شاكال).. ولتكونن هذه نقطة البدء..

ثم تثاءب.. وغمغم وهو يفتح زر قميصه:
- أما الآن فقد حان وقت النوم..

* * *

كانت هذه هي الليلة الأولى في عهد الرعب..

كم كانت الساعة وقتئذ..؟.. لا أذكر ولا أفقه حرفًا مما حدث.. فقط كانت غشاوة النوم واختلاط آخر أحداث الحلم بواقع لحظة الإفاقة.. وحين أدركت من أنا وأين أنا عرفت عدة أشياء...

عرفت أن (إيكين) يوقظني في جنون..

وعرفت أن هناك رائحة احتراق تغمر الجو.. وأن الدخان يفعم الحجرة.. وعرفت أن (فيتزجيرالد) ليس موجودًا معنا..

نهضت كالملسوع إلى حجرته المجاورة لحجرتي..
ولم أستطع فهم شيء..
كان الدخان يغمر الهواء.. السعال يمزق صدري..
نادينا كالملهوفين على (فيتزجيرالد) لكننا كنا ندرك جيدًا أنه لن يرد علينا.. ياللهول!.. فقط ألسنة من اللهب الأزرق.
وعلى المقعد الخشبي - مصدر الدخان - كان هناك شيء ما.. شيء لم نتبينه يحترق.. وكان رد فعل (إيكين) سريعًا.. بادر بإحضار دلو الماء وسكبه على مصدر الدخان ثم هرع يفتح النوافذ وبعد لحظات أمكننا أن نفهم ما أمامنا..

لم يكن هناك شيء على المقعد سوى بيجامة (فيتزجيرالد) الخالية من جسده.. وعلى الأرض كان خفاه..

لا شيء سوى هذا!.. حقًا كانت هناك شمعة لكنها كانت في ركن الحجرة البعيد.. وكان الدخان ينبعث من كل شيء..

هتف (إيكين) بصوت كالبكاء:

- يا إلهي الرحيم!.. حالة احتراق ذاتي!

نظرت نحوه في ذهول..

* * *

الاحتراق الذاتي!..

أعرف هذه القصة جيدًا.. أكثر من مائتي سابقة دوّنها التاريخ لهذه الحالات الغامضة

التي يحترق فيها الأناس فجأة دونما سبب ودون أن يقترب منهم مصدر للهب..
حالات مدونة منها راقصة اشتعلت فيها النيران وهي ترقص في (إسكس) فلم يبق منها سوى ثوبها وحذائها.. ومنها رجال أفرطوا في احتساء الكحول.. دائمًا اللهب الأزرق ودائمًا ذهول الواقفين على حين يتبخر الشخص تمامًا تاركًا ثيابه خلفه..
ودائمًا يصف العلماء حرارة اللهب بأنها تقارب ألفي فهرنهايت أو أكثر.. ولا تفسير لكل هذا في كل مرة..

نعم أعرف الاحتراق الذاتي..

لكن هل هذه إحدى حالاته؟..

* * *

ارتجف (إيكين) وهو يتأمل المشهد المروع:
- (شاكال)!
لماذا تذكر هذا؟.. لماذا ردد الاسم الذي كنت أخشى أن يتردد..؟.. لكن كلينا كان يفهم أن هناك علاقة لهذا المشئوم بما يحدث..
وفي هستيريا شرعنا ننظف المكان آملين أنه - بشكل ما - سندرك أن كل هذا وهم أو كابوس..
لكن ماذا يفعل (فيتزجيرالد) خارج بيجامته إذا لم يكن احترق؟!
إن ما حدث يفوق الوصف وقدرة لساني على التعبير.
لكنه حدث..!

* * *

في اليوم التالي التزمنا الصمت وجمعنا حاجياتنا لنفر من هذا البلد إلى ديارنا وبأقصى سرعة.. لم نكن نريد أسئلة محرجة عما حدث خاصة وأننا لا نملك إجابة.. ثم إن الحفريات التي قمنا بها لم تكن قانونية تمامًا، وحتمًا كنا سنقع تحت طائلة العدالة هناك لو أنها عرفت قصة معبد (شاكال) المندثر..

عدنا إلى (إنجلترا) طاوين اللغز بين أمتعتنا.. ولم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذي حملناه معنا.. بلي حملنا أيضًا التمثال والقلادة لأننا لم نر فيهما خطرًا ما.. ثم إن التخلي عن هذا الكشف أمر يفوق احتمال أي عالم اثار..!..

كان (فيتزجيرالد) مغامرًا أسكتلنديًا - رحمه الله - أفاقًا بلا عائلة تبحث عنه، لهذا لم يطالبنا أحد بتقديم تفسير عن تلاشيه..

وبعد أسبوع توجهنا إلى قصر اللورد (كينزي) الذي انتحلت اسمه..

كان اللورد (كينزي) من أسرة بريطانية عريقة يعيش وحده بعد وفاة امرأته، وإلى حد ما يشبه نمط الإنجليزي (المنشى) الذي تقمصته منذ أتيت إلى (بنسلفانيا)..

هواية هذا الرجل هي جمع الآثار، وقد أضيف هنا أنه كان يملك خبرة وثقافة عالم آثار من الصفوة.. تكفيه نظرة إلى تمثال كي يقول لك ما إذا كان أصيلًا أم مزيفًا.. وعمره.. وجنسية صانعه.. ومن أين جاء..

إلى هذا الرجل ذهبنا ولم تكن تلك المرة الأولى فقد بعنا له تحفًا من الفن المصري والأتروري والفينيقي.. وهو - كناقد بارع - لا يقبل إلا أجود الجيد.. وداره هي متحف تتقطع له أنفاس كل دارسي الحضارات القديمة..

كانت كلاب (الدوبرمان) تزأر في الخارج حين اقتادنا اللورد إلى غرفة مكتبة عبر ردهة تعج بالأسود الآشورية ذوي رءوس البشر.. وتماثيل (إيزيس) ترضع (حورس)... و (أغسطس) يرفع يده من تحت عباءته مصدرًا أمرًا ما لقواده...

وعلى المكتب العتيق وضعنا اللفافة التي حملناها..

هتف اللورد في لهفة:

- والآن دعاني أر هذه التحفة..
قلت في شرود وأنا أفك الأربطة:
- السعر أولًا..
- ليس قبل أن أراها.. لا أذهب للكنيسة قبل أن أرى العروس.. لكن إذا رأيتها وراقت لي..
- هي من أجمل عرائس (بيرو)..
وفتحنا اللفافة ليبرز تمثال (شاكال) الدميم والقلادة الذهبية.. لم نكن قد ألقينا نظرة عليهما منذ غادرنا (بيرو).. ولقد بدا لنا أقبح وأبشع مما رأيناه سابقًا..
- غريب..!.. غريب!
أشعل اللورد سيجارًا وقد استبد به الانفعال فلم يعد يعرف كيف يشعله ومضى يردد عبارته المندهشة مرارًا..

- غريب!.. غريب!.. هذا طراز لم أره من قبل.. حضارة موغلة في القدم.. ثقافة همجية إذا صح هذا التعبير..

ومضغ السيجار في نهم.. ثم أمسك القلادة وشرع يتأملها.. مغمغمًا:

- وهذه.. إنها.. نعم.. توجد حروف على ظهرها.. ولكن أين منظاري؟.. آه.. ها هو ذا.. إن هذه الحروف هي..

وتصلب في جلسته..

مرة أخرى لم أعر اهتمامًا للعلامات التي بدت على وجهه.. هذه العلامات تبدو مألوفة لي.. قطرات العرق على جبينه والاكفهرار على ملامحه والتوتر.. دائمًا التوتر..

قلت في كياسة:

- لم نفهم طبيعة هذه اللغة.. هل تفهمها أنت؟
نظر لي بعينين خاويتين.. ثم هز رأسه نافيًا.. وفي اقتضاب أغلق اللفافة على ما بها وبلهجة عملية قال:
- الواقع أيها السيدان أنني لا أعرف الكثير عن هذه الحقبة..
- إذن تريد هذا التمثال..؟
- لا.. فلنقل إنني غير راغب في تشتيت تركيزي بهذه الفترة.. إنني لا أحتاج إلى هذا الأثر..!
شعرنا بدهشة.. كان هذا آخر رد فعل توقعناه.. إن اللورد لم يكن تاجرًا بارعًا، ولم يكن يجيد إخفاء لهفته حتى لا نغالي في السعر.. فما إن يرى أثرًا يهمه أمره حتى

يبدأ في الصراخ دون تحفظ ويقدم لنا أي سعر نريد..، من المستحيل أن هذا التمثال لم يثر اهتمامه ومن المستحيل أنه يتظاهر باللامبالاة..

- لكن يا لورد (كينزي).. لو أردت..

أدار وجهه بعيدًا عنا معلنًا انتهاء المحادثة.. ومضغ سيجاره أكثر:

- لقد انتهت الصفقة أيها السيدان.. إن بضاعتكما لا تناسبني..

- ولكن.. ربما لو سمعت سعرنا..

- لا أريد سماعه!

متى دق الجرس؟ ومتى جاء الخادم ليصحبنا - مع تمثالنا - إلى الباب الخارجي؟.. لا أذكر.. كنا مشوشي الفكر.. في صمت مشينا بين الكلاب السوداء

المكشرة عن أنيابها والتي قيدها الخدم بالسلاسل.. لم تصدق ما حدث..
ما سر هذا الفتور؟.. وما سر ضيق صدره؟..
لماذا تصرف كأنها إهانة منا له؟

❋ ❋ ❋

على أننا - في اليوم التالي - اتفقنا على تسمية هذه الحالة بـ (ذهول شاكال) وكان ذلك بعد ما قرأنا نبأ احتراق اللورد (كينزي) ذاتيًا في غرفة نومه تاركًا منامته وخفيه سليمين!..
قالت الجريدة إن الخدم فوجئوا بدخان ينبعث من غرفة اللورد فحطموا الباب واستدعوا رجال المطافئ، وكان أن وجدوا

المشهد المألوف.. ويقول رجال (سكوتلنديارد) إن الغرفة كانت مغلقة من الداخل بإحكام.. ولم يكن بها مصدر واحد للنار، وأن اللورد تبخر تمامًا.. وقد صرح المفتش (جيمس ماكفرسون) أنه.... ألخ.. الخ..

إذن حدث ثانية!..

مثل ما حدث لـ (فيتزجيرالد) التعس..

إن العلاقة الآن واضحة تمامًا بين (شاكال) وحوادث الاحتراق الذاتي، ولم يعد ثمة شك ولا حاجة لضحية ثالثة..

وفي تعاسة همس (إيكين) وهو يتأمل القلادة:

- ولكن.. لماذا لم نحترق نحن؟

قلت وأنا أحاول عبثًا الإمساك بكأسي دون أن ترتجف يدي:
- لأننا لم نقرأ المكتوب على القلادة..
- ماذا تعني؟
- أعني أن الأمر واضح.. ثمة أشخاص كان بإمكانهم فهم هذه النقوش واستنباط معناها.. وأيًا ما كان معنى ما قرءوه فهم قد دفعوا الثمن.. ثمن المعرفة.. إن هذه النقوش تحوي تعويذة ما أو عبارة سحرية أو تهديدًا.. لهذا كان كل من يقرؤه يصاب بذهول.. الذهول الذي يمكن أن نسميه (ذهول شاكال).. كأنه يعرف قرب نهايته..
- هل تعني أن هناك أشخاصًا قادرين دون غيرهم على قراءة معنى العبارة.

- بالضبط.. ومعنى قراءتهم للعبارة أنهم مقضي عليهم بالهلاك..
اتسعت عينا (إيكين) في ذعر وألقى بالقلادة بعيدًا:
- إذن فمصدر هذه اللعنة يجب أن يدمّر!
- وماذا تقترح؟
- ربما حفرة في الأرض أو صندوقًا في قاع المحيط أو فوهة بركان..
- ويذهب كل هذا الجهد هباء؟!
- لا يوجد حل آخر للأسف.. لن احتمل احتراق شخص ثالث وأنت حتمًا توافقني..
في توسل نظرت له.. لم أكن أدرك حقًا ما أقوله:
- اسمعني.. سنحاول كشط هذه النقوش أو طمسها.. هذا سيزيل الخطر دون أن يفسد

تأثير هذا الأثر وقيمته..
- إذن نحاول...
ساعات كئيبة قضيناها نحاول إزالة النقوش بمبرد صغير دون جدوى.. إن هذا ليس ذهبًا!.. مستحيل أن يكون ذهبًا!... إنه سبيكة لم أر أصلب ولا أقسى منها.. وهي تأبى أن تتزحزح ملليمترًا واحدًا.. إذن لا أمل للخلاص من هذه النقوش سوى بتدمير القلادة ذاتها.. لكن أية خسارة..!

❋ ❋ ❋

في منتصف الليل نزلنا إلى حديقة داري ودفنّا القلادة المشئومة تحت أمتار من التراب.. وعدنا للدار كي نغفو..

إلا أننا لم نكن قد تعلمنا أولى قواعد الدرس..

لا يمكن الخلاص من (شاكال) أبدًا**!**..

وحين صحونا من النوم وجدنا الحديقة وقد قلبت رأسًا على عقب، وكانت القلادة ملقاة على سطح الأرض.. وكان ما أوحى به الموقف هو أن الكلاب قد حفرت الأرض في أثناء الليل لتخرج القلادة**!**

قمنا بتخبئتها في خزانة حديدية محكمة..

وكان الدرس الثاني الذي تعلمناه هو أن لصوص الخزائن بارعون بدرجة لا تصدق**!**..



وحين صحوت من النوم وجدت الحديقة وقد قلبت رأسا على عقب ،
وكانت القلادة ملقاة على سطح الأرض ..

ففي الصباح الباكر وجدنا الخزانة مفتوحة والقلادة ملقاة على الأرض في حين كانت هناك أنبوبة من غاز (الاسيتلين) استخدمت في إذابة القفل في أثناء الليل..

تسألني لماذا لم يأخذ اللص القلادة؟.. لأنه احترق طبعًا!.. لقد وجدنا بقايا رماد المسكين وثيابه الفارغة جوار القلادة.. لقد دخل مقتحمًا النافذة وعالج قفل الخزانة فلم يجد إلا القلادة بها.. وكانت نظرة واحدة كافية كي يفهم النقوش..

هلك البائس ولم يكن يستحق هذا العقاب..

إن أقسى القوانين - من عهد (حمورابي) - تسجن السارق لكنها لم تحرقه قط..!..

وهكذا دارينا الرماد.. ولم تكن لدينا الشجاعة الكافية لوضع القلادة في خزينة

أحد البنوك لأن البنوك تسرق أحيانًا..، وبدأنا في خطة محكمة لإلقاء القلادة في قاع النهر بعد ربطها حول حجر كبير..

لكننا - في كل مرة - كنا نجد القلادة تنتظرنا على البر عند عودتنا!

أكاد أجزم أن نظرة التمثال ساخرة هناك حيث يرتمي على الأرض بانتظارنا كأنما يصارحنا ألا جدوى من المحاولة..

حتى مصهر الحديد والصلب جربناه.. لكن القلادة كانت تظهر فجأة عند أقدامنا معلنة ألا جدوى..

أنت لا تستطيع الخلاص من (شاكال) أبدًا..

كانت حالة (إيكين) النفسية تقلقني في تلك الآونة.. فهو لا ينام أبدًا ونظراته زائغة

حائرة زجاجية.. وشروده لا ينتهي.. ازداد عصبية ولم يعد يستجيب لعالمي..
عندئذ عرفت المصير الأسود الذي ينتظره..
وقال الأطباء النفسيون إن (إيكين) شخصية غير مستقرة من النوع الانطوائي.. وأنه قد بدأ يتسرب إلى عالم آخر اسمه (الشيزوفرانيا) وبعبارة أقل رقيًا: بدأ يجن..
قالوا - كذلك - إن سبب تحول شخصية غير مستقرة إلى شخصية مجنونة هو ضغط عصبي مبالغ فيه..
ضغط عصبي مبالغ فيه؟..
من ذا الذي لا يعانيه؟..

إن الأخ (شاكال) قد لوث عالمنا إلى الأبد كنفاية ذرية ألقيت في نهر.. ولم يعد الخلاص منه ممكنًا.. هب أنك تخلصت من القلادة بمعجزة فكيف تتخلص من الرعب والذكريات الأليمة؟..

كيف تتخلص من الشعور بأنك مراقب وأن حياتك لن تعود أبدًا كما كانت؟.. وكيف تمضي في المدينة ترمق آلاف الأبرياء عالمًا أنك تهدد حياتهم جميعًا؟.. أو على الأقل تهدد من يملكون القدرة على قراءة العبارات المكتوبة..

الخلاصة هنا أن (إيكين) قد دخل المصحة العقلية عله بين أسوارها يثوب لرشده..

لقد أستراح (إيكين) الخائر تاركًا إياي وحدي..

* * *

ازداد الطين بلة حين تلقيت زيارة من مفتشين من (سكوتلنديارد).. زيارة بريئة في الواقع لكنني أدركت أنهما يريدان معرفة علاقتي باللورد المحترق (كينزي).. فنحن آخر من زاره في تلك الليلة.. ونحن عالما آثار.. وهو يشتري الآثار المهربة كما لا يمكن أن يغيب عنهما..

إذن.. مفتاح اللغز عندنا.. وحيث إن (إيكين) جن فلم يبق سواي كي يتحمل لعبة الأعصاب المريعة التي يجيد رجال التحري لعبها..

وهكذا....

وجدت نفسي مضطرًا إلى الهرب.. بعيدًا.. بعيدًا.. وأنتم تعرفون باقي القصة..

لم أجرؤ على ترك القلادة والتمثال لأني لن أجازف باحتمال أن يراهما آخر.. أضف لذلك أنني واثق بأنهما سيعودان لي..
أنت لا تستطيع الخلاص من (شاكال) أبدًا..

* * *

حدث اليوم ما كنت أخشاه..
هناك من عبث بحجرتي وسرق القلادة وهشم التمثال!..
كنت في قاعة الطعام أتناول إفطاري.. ثم صعدت للغرفة فوجدت آثار العبث والغرفة مقلوبة رأسًا على عقب.. من فعلها؟..
في البدء فكرت في خادمة الغرف، ثم استبعدت هذه الفكرة على الفور.. فهي تملك

مفتاح الغرفة ولا تحتاج إلى كل هذا العنف في الاقتحام، دعك من أنني لو كنت مكانها لجعلت الأمر لا يثير الشك لأنها تعلم أنها المتهمة الأولى في أي تحقيق قادم..

إذن هو شخص آخر.. ولكن من؟..

طبيعي أنني لن أحدث شوشرة لأنني لا أتحمل أسئلة رجال الشرطة لي، وتساؤلهم البريء عن مغزى إقامتي هنا تحت اسم (لورد كينزي) على حين يحمل جواز سفري اسم (هنري بنسون)..

لا.. لن أحدث صخبًا وسأجري أبحاثي الخاصة..

إن هذه القلادة المشئومة ستعود لي حتمًا ولكن بعد أن يحترق اثنان أو ثلاثة من

نزلاء الفندق، ولولا ذلك لشعرت بامتنان عظيم للص النبيل الذي خلصني منها..

لكنك لا تستطيع الخلاص من (شاكال) أبدًا..

وفي المساء كنت متجهًا لحجرتي حين وجدت الأمريكي والرجل الأصلع النحيل واقفين أمام بابها يتأملانه في اهتمام.. فأجفلت.. أتراهما السارقان؟..

فما أن رأياني حتى اعتدلا في شيء من الحرج.. وقال الأصلع في ارتباك وقد وجد من واجبه أن يفسر ما هنالك:

- معذرة سيدي!.. إذن هذه حجرتك؟.. كنت أتناقش وصديقي حول مغزى هذه العلامات في قفل الباب.

هززت رأسي في فتور.. وغمغمت:

- محاولة اقتحام.. إن هذه الأشياء تحدث كثيرًا..

- وفشلت طبعًا...

- بل نجحت..! لكن شيئًا لم يسرق من الغرفة على الأقل..

تبادل هو والامريكي نظرة لم افهم معناها.. ثم إنه قال في لهجة انتصار:

- هذا هو ما كنا نتناقش حوله من ثوان.. إن هذه الآثار لا توحي بعملية اقتحام بل توحي بأن هناك من يتظاهر بذلك!

كلام غريب!.. ماذا يعني هذان المعتوهان؟.. أردف الأصلع وهو يشعل سيجارة كعادته الأبدية:

- هذه الخدوش ليست فعالة ومن المستحيل أن تلعب دورًا في فتح القفل..

- لا أفهم..
- أعني أن من وضعها قد وضعها ليوحي بأنه لا يملك مفتاحًا.. في حين أنه - ما دمت تؤكد أنه اقتحم الغرفة - كان يملك مفتاحها بالتأكيد..
ازددت حيرة.. لكنني بدأت أفهم ما يرمي إليه:
- وهذا يعني..
- يعني أن هناك من فتح الغرفة بسلاسة ثم أنه وضع هذه العلامات بعدها ليوجه إصبع الاتهام نحو من لا يملكون المفتاح!
سألته وقد أثار ما قال اهتمامي:
- ولكن من أنت يا سيدي؟.. ولماذا اجتذب نظرك قفل بابي بالذات؟.
قال وهو يرفع منظاره على قصبة أنفه:

- أنا د. (رفعت إسماعيل). مصري الجنسية.. وهذا هو (هنري شيلدون) خبير كمبيوتر.. أمريكي أما سبب توقفي أمام بابك فهو ضعف بصري الذي جعلني أخلط ما بين رقم (٢٩) ورقم (٢٨) بالأرقام العربية[1].. إن (الاستجماتزم) يجعلني أكمل دائرة التسعة بصريًا لتصير ثمانية.. وأظن أنها غرفتي أنا..

وفي شيء من الخجل، غمغم:

- إنني دسست مفتاحي في قفل بابك عشر مرات منذ جئت للفندق!

كنت أنا شارد الذهن أفكر في مغزى ما قال.. إن هذا منطقي ومتماسك إلى أقصى حد.. ها هي ذي خادمة الغرف تمر أمامنا بقامتها الرشيقة الفارعة.. من يملك المفتاح

سواها.. إنها مرتبكة تحاول ألا تلتقي عينانا فهل هذا اعتراف منها بالأمر؟. لن أستطيع إثبات جرمها أبدًا، لكني أستطيع أن أحذرها وستفهم هي ما تريد فهمه..

ربما كان هذا الد (رفعت) واهمًا.. لكن الحقيقة التي لا يمكن دحضها هي أن القلادة اختفت.. وأن السارق لا يعرف ما ينتظره...

إنك لا تستطيع الخلاص من (شاكال) أبدًا..

❋ ❋ ❋

الجزء الثالث

أمسية ما

تحكيها مس (جونز)

"إن الحر يتزايد في الغرفة.. لو أنصفت القول لقلت إنني أحترق!".

* * *

قالت مس (جونز):
رقيقة هي هذه الفتاة وأعتقد أنني أميل لها بشدة..
هي كذلك تميل إلي بنفس القدر..، ومنذ جاءت فندقي أدركت كم هي جميلة.. وفقيرة.. وطموح..!..
كان في أعماقها شيطان ملول متقلب يبحث دومًا عن الأرقى والأفضل.. وكنت أعرف أن نزلاءنا ـ أولاد الشياطين ـ يحدثونها ليلًا ونهارًا عن جمالها وعن الأشياء الرائعة التي تستحقها لو أنها فقط تنازلت قليلًا..

ليلًا ونهارًا تسمع هذا الكلام الفارغ وتبدل مفاهيمها بالتدريج.. لهذا أدركت أنني يجب ألا أتركها..، إن تربيتي الدينية الصارمة علمتني أن البشر جميعًا خراف ضآلة يجب أن نرعاها..

وكان الساقي الإيرلندي الوسيم (باتريك أوكونور) يلاحقها باستمرار.. عيناه تعبّان من ينبوع وجهها الشيق، ولا يضحك سوى حين يراها.. وكنت أرتاح لهذا الفتى الدمث الخجول.. وأجد فيه رجلًا نبيلًا بمعنى الكلمة، وكأنني أخطب لابنتي اخترت لها هذا الشاب..

لكن (باتريك) كان يمثل لها الحياة الأبدية في هذا العالم الذي تمقته.. عالم بلا أحلام ولا طموحات.. إنه سيقدم لها الإخلاص

بينما هي بحاجة للفراء.. سيهديها الأحلام بينما هي ترغب في سيارة فاخرة.. سيعطيها الحنان وهي لا تريد سوى فيللا أنيقة..

كان طبيعيًا أن تمقته.. ولا ألومها على هذا..

❋ ❋ ❋

في تلك الآونة كان فندقنا يعج بهؤلاء الزبائن الذين اعتدنا وجودهم والذين يشكلون شرائح معينة.. فمنهم العجائز الانجليز المتحفظون الذين يقطرون أدبًا وتهذيبًا.. والشباب المتهتك المتظرف.. وزهور الحائط.. ورجل أمريكي ومصري

أصلع يدخن كالقمامة المحترقة.. وهذان بالذات لا يمكن تصنيفهما تحت أية قائمة..

وكنت أنا كعادتي - منذ شهور - أفتح عيني من النوم ثم أمد يدي إلى المقبضين النحاسيين عند رأس السرير فأديرهما لأرى ما يختفي تحتهما.. فالشيء الذي لا تعرفه (جين) هو أنني معتادة رؤية ما تخبئه داخل هذين المقبضين حاسبة - الحمقاء - أنني لا أعرف..!

ومن هذا المخبأ المشترك عرفت كل شيء عن مدخراتها.. وعن حبيبها القديم (جيمي).. وعن هواياتها.. كل شيء..

على أن ما ضايقني كثيرًا هو أنها تخدعني..

هي لم تسرق شيئًا.. ولم تفتش حاجياتي.. لكن هناك خديعة ما في كل هذا.. أن تخفي أسرارك في غرفة شخص آخر لهو عمل غير أخلاقي بكل المقاييس..

* * *

جاء المساء ودخلت غرفة النوم..

وكعادتي مددت يدي وأخرجت الكتاب المقدس، ثم فككت خصلات شعرى الأشيب وبدأت أقرأ..

لا أدري السبب الذي جعلني أمد يدي للمقبضين باحثة عن أسرار جديدة.

ما دامت الفتاة ارتضت خداعي فليس خطأ مني أن أطالع ما تخفيه في حجرتي، هذا هو أبسط حقوقي..

وهنا وجدت القلادة..

قلادة من الذهب عليها نحت لوجه إفريقي مفزع..

ماذا جلب هذه القلادة لها؟.. هل سرقتها؟.. مستحيل.. إن كل حجرات الفندق ملأى بما يمكن سرقته وهي تدخلها جميعًا فهي ليست سارقة أبدًا.. إذن فهذه القلادة هدية.. هدية ممن؟.. ولأي غرض؟..

إن ثعابين القلق تنهش قلبي..

أتمنى - ولا تندهشوا - أن تكون القلادة مسروقة.. لا أريد للفتاة أن تتحول أو تكون تحولت إلى أبشع مهنة في التاريخ.. إنها ابنتي وأنا أعرف كيف أحميها من نفسها

وألتهم فؤاد من يؤذي شعرة - مجرد شعرة - من رأسها..



وهنا وجدت القلادة .. قلادة من الذهب عليها نحت لوجه إفريقي مفزع ..

وهنا شعرت بها تقترب من باب الحجرة..
أخفيت القلادة تحت الوسادة وشرعت أتظاهر بقراءة الكتاب المقدس.. كانت تحمل لي عشائي وزجاجة الدواء..
حاولت أن أجعلها تفصح عن شيء، أي شيء.. لمحت لها بما يساورني من مخاوف.. وحاولت أن أقنعها بأن تقبل (باتريك) عريسًا لكنها - كعادتها - تتمرت و أبت أن تصغي لكلمة واحدة..
ثم إنها استأذنت في الانصراف فأذنت لها..
وبأصابع مرتجفة أخرجت لفافة تبغ من تحت الحشية وأشعلتها..
جلست وحدي في الظلام - الذي اعتدته - أقلب القلادة بين أناملي، ثم إنني نهضت

فأحكمت إغلاق الباب.. وعدت للفراش..
غريب أمر هذه القلادة.. كأنها تعويذة أو حجاب قديم..
على ظهرها وجدت نقوشًا عجيبة فتناولت منظاري وشرعت أتأملها.. عجيب هذا..!.. هذه ليست حروف لغة أعرفها لكني برغم ذلك أفهمها.. ثمة كيان ما يخاطبني من عهد سحيق... يشدني إليه.. يحرك عظامي ويجذب أعصابي.. العرق يتكاثر على جبيني وجلد ذراعي يستحيل إلى جلد إوزة..
"أنت قربان (شاكال) الجديد.. لأنه من النار تأتي النار.. وإلى الدخان يصير الدخان.. وفي الرماد يفنى الرماد.. تعالي

إلي ملبية ندائي يا دم دمائي ويا إبنة أبنائي..".
كنت أنتفض.. شيء ما يجذبني معه إلى حفرة بلا قرار.. بلا قرار.. وحين انتبهت لنفسي كانت ساعة كاملة قد مضت.. هوذا (شاكال) حاملًا مشعله السرمدي يقف بانتظاري على باب الجحيم..

غريب كل هذا..!

يا دم دمائي وابنة أبنائي..

في الرماد يفني الرماد..

الحر يتزايد في الحجرة..

نزعت الكنزة التي أرتديها فوق ثياب النوم..

لكن حرارة جسدي تزداد.. تزداد..

أنت قربان (شاكال) الجديد..

الحرارة تزداد.. تزداد..
لو صح القول لقلت إنني أحترق..
لكن هذا مستحيل.. لا يوجد شيء كهذا..
الحرارة تزداد.. تزداد..
و......

❋ ❋ ❋

الجــزء الرابع
أسطورة (شاكال)
يحكيها د. (رفعت إسماعيل)

"هذه الحروف كتبت بلغة لا أعرفها ..
ولكن.. صبرًا!.. إنني أفهمها ..!.. أقسم
على ذلك!".

* * *

مرة جديدة أعود - أنا د. (رفعت إسماعيل) - لسرد الأحداث.. حكيت لكم الظروف التي جاءت بي إلى الفندق، وعرفتم شيئًا عن ظروف إجازتي..

بدأ دوري في هذه القصة في اللحظة التي صعدت فيها لغرفتي مع (هاري) وهي كما تعرفون الغرفة رقم ٢٨..، وكان الاستجماتزم الذي بليت به في نظري يجعلني عاجزًا تمامًا عن رؤية الجزء المقطوع ما بين خطين على امتداد واحد بل أكمله في شبكيتي على الرغم مني، وهكذا تتحول (9) إلى (8) دون سابق إنذار..

وكنت في كل ليلة أدس مفتاحي في كالون باب الغرفة رقم ٢٩، ثم أفطن بعد محاولة عقيمة إلى خطئي.. إلا أنني في تلك الأمسية لاحظت تلك الخدوش في قفل الباب ودارت مناقشة بيني وبين (هاري) حكاها لكم اللورد (كينزي) فلا داعي لأن أثير مللكم بإعادتها مرة أخرى..

وكما فهمتم تركزت شكوك اللورد (كينزي) في خادمة الغرف الحسناء وهو شك له ما يبرره في الواقع ونحن معه..

وكنت أتبادل الحديث مع اللورد (كينزي) حين خطر لي خاطر غريب.. تعلمون أن لي خبرة لا بأس بها بأساتذة الجامعة الانجليز المتحذلقين و (أشم) لهجتهم الأكسفوردية دون عناء..

هذا الرجل ليس لوردًا بل هو يقلد أساليبهم بأسلوب يوشك أن يكون هزليًا.. لكن من أنا حتى أفتي في هذه الأمور؟.. إذا كان الانجليز أنفسهم لم يلاحظوا ذلك فمن الغرور أن أزعم أنني عبقري!..

وهنا سمعنا الصرخة الرهيبة المألوفة:

- نار!.. نار..!

مع (هاري) أركض إلى مصدر الصوت..

- نار!.. نار!

ونزيلة إنجليزية شمطاء تقف بقميص النوم في الردهة تردد في هلع ذات العبارة.. سألها (هاري) في نفاد صبر:

- أين؟

- نار!!

- قلت أين؟

أشارت في هستيريا إلى الجزء السفلي من أحد الأبواب الموصدة.. إلى الدخان المتسرب كأنه حشد من الثعابين الرمادية يفر من الغرفة.. نعم.. رائحة الحريق تتزايد.. فكيف لم نشمها من قبل؟!..

- غرفة من هذه؟

- غرفة مس (جونس) مديرة الفندق..

يا للمصيبة!.. لابد أن العجوز تدخن سرًا أو - كما يحدث دائمًا مع العجائز - نزلت بشمعة تحت الفراش لترى ما إذا كان هناك لص يتلصص عليها!.. يجب عمل شيء..

- (رفعت)!.. تعال نهشم الباب..

قالها (هاري) وقد توترت عضلاته وتناثرت خصلات شعره الأشقر على

جبينه.. وفي عنف بدأنا نهشم كتفينا.. معذرة!.. أعني نهشم الباب غير ناسين من حين لآخر أن ننادي في هستيريا:

- مس (جونز)؟

بلا جدوى طبعًا.. فالمرأة - حتمًا - قد ماتت أو كادت..

وفجأة انفتح الباب وقد سئم المقاومة.. كان الدخان يملأ الجو وبصعوبة استطعنا أن نتبين الجسد الجالس على الفراش.. كلا.. أعني الجسد الذي كان جالسًا على الفراش..

لم يعد هناك شيء سوى ألسنة من اللهب الأزرق تتصاعد منها سحابة كثيفة من الدخان.. والغريب أن الأغطية لم تمس بسوء.. لم يحترق شيء من الفراش، بل إن

قميص نوم العجوز لم يحترق حيث ارتمى على حافة الفراش خاويًا من الجسد الذي كان به..

تبادلت أنا و (هاري) نظرة حيري..

لقد فهمنا ما حدث.. لكننا بعد لم نفهم كيف حدث..!..

سأحاول هنا أن أكون مختصرًا وأريحك من كل ما قيل ومن ذهول الواقفين.. والصراخ الهستيري لخادمة الغرف (جين).. و النظرات الخرساء للورد (كينزي) الذي ساقته قدماه إلى الحجرة.. هل كانت في تلك النظرات لمسة من الذعر؟.. لمسة من ذعر الأرنب الذي أيقن أن الثعلب لم يفقد أثره برغم كل المناورات التي قام بها؟.. لا أعتقد أنني دقيق

الملاحظة إلى هذا الحد.. لابد أنني - بعد ما فهمت القصة - أقنعت نفسي بأنني رأيت هذا التعبير على وجهه..

شيء أخير أحب أن أضيفه..

فهناك على الفراش عند قدمي المرأة - أعني حيث كانت قدماها - كانت هناك قلادة غريبة الشكل تمثل وجهًا غليظ الشفتين لا يوحي بالاطمئنان أبدًا..

كان الزحام شديدًا في الحجرة لذا آثرت أن أضع هذه القلادة الذهبية في جيبي حتى أسلمها للشرطة فيما بعد.. إنها ثمينة.. هذا مؤكد.. ولن يعدم المرء واحدًا يدسها في جيبه ليس لتسليمها للشرطة طبعًا..

في الوقت المناسب دسست القلادة حين التقت عيناي بالعينين المرعوبتين لهذا

اللورد (كينزي)... كان يبحث عن شيء ما بلهفة لا أدري سببها..

هذا الرجل يخفى جنونًا خطرًا.. كذا قلت لنفسي وعزمت على أن أكون على حذر منه..

ولكن ما هي هذه القلادة؟.. من الواضح تمامًا أنها تعويذة أو شيء من هذا القبيل.. لا أعتقد أن صائغًا معاصرًا - مهما بلغ من خبال - يمكن أن يصمم شيئًا بهذه البشاعة.. إنها القبح المجسم دون مبالغة..

على كل حال لا مانع من إلقاء نظرة عليها على انفراد في حجرتي قبل أن أسلمها للشرطة..

شققت طريقي بين الأجساد وسحب الدخان المنقشع.. وفتحت باب حجرتي

وأغلقته ورائي.. وأشعلت لفافة تبغ..
خلعت منظاري لأتمكن من رؤية أوضح..
ومن جيبي اخرجت القلادة وضيقت عيني لأتأملها..
هذه النقوش.. إنها مكتوبة بلغة مجهولة لي.. ولكن..
إنني أفهمها!.. أقسم على ذلك..
هذه الكتابة لها صوت!.. صوت يدوى في أذني من الماضي الغابر وهأنذا أسمعه يجلجل:
- أنت قربان (شاكال) الجديد... لأنه من النار تأتي النار.. وإلى الدخان يصير الدخان.. وفي الرماد يفنى الرماد...

ما هذا الكلام الفارغ؟!.. كأنه سجع الكهان..

- تعال إلي ملبيًا ندائي يا دم دمائي وابن أبنائي..

هو ذا (شاكال) يقف على باب الجحيم بانتظاري حاملًا مشعل الأبدية.. إنه يريدني.. جاء من أجلي أنا...

غريب هذا..!.. إنني مفتون تمامًا..

العرق يغمر جبيني وجلد ذراعي ينتصب كالأوزة..

إنني.. لا.. أملك.. حراكًا..

إنني.. مسحور.. إنني.. (تحت تعويذته) كما يقول الانجليزي..

الحر يشتد..

لا أدري.. السبب.. لكن (شاكال).. ينتظرني.. وليس.. من الحكمة.. أن أبقيه.. أكثر.. من....

- (رفعت)!.. أنت هنا؟..

هذا صوت (هاري).. أخرجني من دوامة (الأيوفوريا) التي بدأت أذوب فيها حتى القاع.. إنه يقرع الباب مناديًا..



الحر يشتد .. لا أدرى .. السبب .. لكن (شاكال) .. ينتظرنى ..
وليس من الحكمة .. أن أبقيه ..

استدرت وفتحت الباب متنهدًا الصعداء..

- ماذا بك؟.. تبدو كأنك كنت في حمام بخار!

هتف (هاري) في دهشة.. وخلف كتفه رأيت ذلك اللورد الانجليزي المزعوم يرمقني في نظرة غير معهودة منه.. نظرة فهم.. نظرة من يقول:

إذن فالأمر كذلك!..

ورأيت عينيه تتصلبان على القلادة التي كانت في يدي..

دخل الرجلان الغرفة.. وتلفت (هاري) حول كتفيه، ثم هتف في غباء مستفز:

- لكن حرارة الحجرة عادية.. فمن أين جئت بكل هذا العرق؟!

- هو عرق الخجل!

لم أكن أنا قائل هذه العبارة بل هو لورد (كينزي)..

الطريف أنه قالها وهو يرفع شيئًا ما ويصوبه نحونا..

الأطرف هو أن هذا الشيء هو مسدس صغير جميل المنظر..

صاح (هاري) في هستيريا وهو يبتعد عن مرمى المسدس:

- لورد (كينزي)!.. ما معنى هذا؟.

بلهجة رصينة غمغم اللورد وهو يتخذ لنفسه موضعًا أكثر استراتيجية:

- معناه أن هذه القلادة تخصني أيها السيدان وأنني مستعد لعمل أكثر الأفعال جنونًا كي أستردها!

ثم ابتلع ريقه وهتف في مرارة:

- إذن أنتما من سرق حجرتي وتظاهرتما بمساعدتي..
- ولكن ما الذي...؟
- هذه القلادة في كف زميلك المصري.. إنها دليل كاف.. وعلى كل حال أنا لا أريد استرداد القلادة لأنها ثمينة أو أثيرة إلى نفسي. بل لأنها.... فلنقل إنني أنقذكما بهذا العمل..
ومد يده نحوي كمن ينتظر شيئًا:
- والآن.. هيا!
لم أكن أنا قد تفوهت ببنت شفة منذ دخلا غرفتي.. إلا أن نظرة الرعب في عيني كانت واضحة وقد لمحتها عينا اللورد على الفور.. ولمحت نظرة اهتمام تتبدى في عينيه المتهمتين.. ثم تحول الاهتمام إلى

فهم.. وتحول الفهم إلى ذعر.. ثم تحول الذعر إلى شفقة..

وسمعته يهمس من بين أسنانه:

- أنت قرأت النقوش!

- أ.. أنا....

- يا لك من تعس!.. لقد أصابك ذهول (شاكال).. أنت لا تستطيع الخلاص من (شاكال) أبدًا..!

(شاكال)!.. هذا هو الاسم الذي قرأته على القلادة منذ ثوان.. إن هذا الرجل يعرفه.. إذن فالقلادة قلادته.. ولكن من هو (شاكال)؟

وما سر هذه الهلوسة التي أصابتني؟!..

كان اللورد قد أعاد المسدس إلى جيبه ومعه القلادة.. ثم تناول ذراعي مقتادًا إياي

إلى داخل الحجرة..
- أعتقد أن هناك نقاطًا عدة يجب أن أوضحها لكما.. كما أنكما لا تبدوان لي سارقين.. ثمة سوء تفاهم على طول الخط أو هذا ما أرجوه..، دعوني أشرح لكما قصتي..

* * *

وفي الساعة التالية حكى لنا اللورد (كينزي) - أو د. (هنري بنسون) - قصته التي سمعتموها في الجزء الثاني على لسانه.. لن أعيدها عليكم لكن اسمحوا لي أن أترككم قليلًا حتى أسمعها منه.. ما دمتم جميعًا قد عرفتموها قبلي..!

* * *

إذن فأنا القادم..!
أنا القادم..!
لقد صدر حكم الإعدام حرقًا علي ولا أمل في استئناف ولا معارضة ولا هرب.. فقط علي أن أنتظر حتى يقرر هذا الأخ (شاكال) ميعاد التنفيذ..
أشعلت سيجارة بيد مرتجفة.. لماذا أنا بالذات تمكنت من قراءة هذه الحروف اللعينة؟.. متى قال (هاري) إنني نحس حقيقي؟.. ولماذا وأي شيطان دفعني لأن آخذ هذه القلادة؟.
كنا جالسين على (الأنتريه) الأنيق الصغير في حجرتي غارقين في خواطرنا السوداء وقد أدرك كل منا حقيقة موقفه..

قال د. (هنري) وهو يتحاشى النظر لي:

- كذا ترى.. لا بد أن العجوز هي سارقة القلادة..

- هذا هو الاحتمال الأقرب للصواب خاصة وأنها تملك فرصة الحصول على المفاتيح.. وعلى كل حال لقد دفعت ثمن جريمتها غاليًا.. أفظع ثمن لجريمة سرقة في التاريخ..

حك د. (هنري) رأسه مفكرًا.. ثم وضع يده على ركبتي وتساءل:

- د. (رفعت).. لا تقنط..!.. لاحظ أن لديك مزية لم يحظ بها واحد من ضحايا (شاكال) السابقين.. هي أنك تعرف - بالتفصيل الممل - ما ينتظرك..!

مضغت السيجارة في تعاسة.. غمغمت:

- حقًا؟.. يا لي من محظوظ!
- ثم إننا لن نتركك أبدًا وحتى تحترق..
- يا له من خبر مبهج..!
- والآن.. هلا فسرت لنا معنى هذه النقوش؟
في شرود تأملت أظفاري ودفنت عقب السيجارة في المطفأة:
- الواقع أنني لا أدري كيف أصف ذلك.. إن الأمر ليس قراءة النقوش قدر ما هو إحساس عام بمعناها..أنت تفهمني أليس كذلك؟.
- نعم! لم أفهم..
- إنه نداء عام.. نداء في أعصابك وعقلك وخلاياك.. نداء لأن تكون قربان (شاكال)..

هتف (هاري) في توتر وقد استعاد عصبيته القديمة وانفلات أعصابه بسرعة مذهلة في الواقع:

- دعونا من هذا الهراء ولنبدأ في التفكير.. ما هي الطريقة المثلى - إن وجدت - لإنقاذ (رفعت) من الاحتراق الذاتي؟

قلت وأنا أحاول التظاهر بالثبات:

- ثمة نقطة تحتاج للتوقف عندها.. لماذا لم أحترق بعد؟

قال د. (هنري) في ثقة:

- لأنك مع آخرين.. كل حوادث الاحتراق الذاتي حدثت لأشخاص وحيدين.. ولولا دخولنا الغرفة في لحظة الذروة لكنت قد...

في حماسة صاح (هاري):

- هذا هو الحل..!.. إننا لن نتركك لحظة يا (رفعت).. سنقوم بتبديل ورديات لمرافقتك.. وهكذا لن يجد (شاكال) الفرصة أبدًا كي يدعوك إليه..

قلت في ملل وأنا أدفن سيجارتي:

- ليس هذا حلًا.. هناك دائمًا لحظة ما أدخل فيها دورة المياه أو الحمام (لا تزعم أنك متحمس إلى حد مرافقتي هناك) وهذه اللحظة ستكون كافية.. ثم إنني لن أجد الرفقة البشرية طيلة حياتي.. مستحيل هذا.. دعك من أن الحياة التي لا يسمح لك فيها بأن تكون وحيدًا هي ليست حياة.. بل هي لا داعي لها أصلًا..!

قال د. (هنري):

- على كل حال هو حل مؤقت.. وحتى نجد حلًا أكثر جذرية..

- أكثر جذرية؟

همست في مرارة ساخرة:

- كالموت؟!

❋ ❋ ❋

إنه الفجر..

في الخارج تتبادل العصافير عبارات السباب المختلفة.. وأشعر بالهواء البارد البكر يتسرب من النافذة فلا تتحمله شعيباتي التي اعتادت التلوث.. فأسعل..

ينهض (هاري) من جواري بالفراش مجفلًا ثم يعاود النوم..

أعرف كل هذا وأفهمه..

لأنني - ببساطة - لم أنم بعد..
رفعت عيني من تحت الغطاء بحذر فوجدت (هنري) جالسًا على أحد مقاعد الأنتريه وقد أضاء أباجورة خافتة يطالع على ضوئها كتابًا صغيرًا له غلاف سميك.. وأمامه القلادة اللعينة..

- د. (هنري)..

همست في كياسة محاذرًا أن أوقظ (هاري):

- هل أنت لم تنم بعد..؟

- وكيف أنام؟.. أنت كذلك لم تنم بعد.. إن صوت أنفاسك المضطربة لم ينتظم قط..

وثبت من الفراش وسرت حافي القدمين إلى حيث جلس.. وتربعت على مقعد بجواره، وألقيت نظرة فضولية على الكتاب

الذي يحمله..، كان له عنوان (عن الميثولوجيا اللاتينية)..
- آها!.. أنت تبحث عن (شاكال)..!
- للأسف إن ما كتب عنه بسيط جدًا.. نحن عمليًا نجهل كل شيء عنه..
- أعتقد يا د. (هنري) أنك تبحث في اتجاه خاطئ..
- ماذا تعني؟
أشعلت سيجارة وحككت مؤخر رأسي في إنهاك:
- أنت تبحث عن إله وثني لم ولن يوجد... المشكلة ليست هي (شاكال) بل ما يحيط به من سحر أسود بثه كهنته..
- أنت تؤمن بالسحر الأسود إذن...

- تمامًا.. لكني أستبعد تلقائيًا أية نظريات تُبنى حول (شاكال) و (إيزيس) و (جوبتر) وغيرهم من الأرباب الوثنيين الذين أفرزتهم مجتمعات التخلف وتعدد الآلهة..

- إذن؟..

- إذن.. مشكلتنا هي تعويذة السحر الأسود وليس (شاكال) ذاته.

ثم إنني أغمضت عيني وبدأت أحاول التذكر..

ها هي ذي الكلمات التي سمعتها - أو قرأتها - تعود لذاكرتي ببطء.. مذبذبة لكنها واضحة تمامًا..

- لأنه من النار تأتي النار.. وإلى الدخان يصير الدخان.. وفي الرماد يفني الرماد..

- جميل..؟.. وهل هذا كل شيء؟.

- لا.. هناك دعوة.. نعم.. هي كذلك.. تعال إلي ملبيًا ندائي يا دم دمائي وابن أبنائي...

- همم!.. إن (الأزتك) كانوا يظنون (شاكال) أبا البشر جميعًا.. وهذه الكلمات.. بأية لغة سمعتها؟

نفثت الدخان محاولًا التذكر..

- قلت لك لا أدري.. إنه انطباع عام بالمعنى.. لغة هي فوق كل اللغات.. لغة تفهم وتحس لكنها لا تكتب أو تقرأ.. هل أبدو مخبولًا إذ أقول هذا؟

- بتاتًا.. إنك تتحدث عن نوع من (التخاطر)..

- هو كذلك..

قال د. (هنري) وهو يضع ساقًا على ساق:

- إنني أسائل نفسي عن معنى هذه الكلمات..، ربما كانت نوعًا من المحسنات اللفظية.. ولربما كان لها معني غامض هام..

- تبدو لي نوعًا من التهريف...

ضيق عينيه في شرود.. وغمغم:

- من النار تأتي النار.. إلى الدخان يصير الدخان.. ليست هذه مجرد بلاغة وأقسم على هذا..

قالها وأطفأ مفتاح الأباجورة لأن ضوء الصباح الناعس بدأ يتسرب عبر ستائر النافذة..

- أقسم على هذا..

وهنا سمعنا صوت طرقات على الباب...

❋ ❋ ❋

الجــزء الخامس
لهيب الحب
يحكيه (باتريك أوكونور)

"إن الحب من طرف واحد لهو اللهيب بعينه.. اللهيب الذي لا تطفئه كل أنهار الأرض.. إنني أحترق يا سادة.. أحترق حقيقة لا مجازًا!".

❋ ❋ ❋

يقول (باتريك):
إيرلندي نعم..
حاد الطباع نعم.. حار العواطف نعم..
لكن كبريائي - التي ورثتها عن جدودي - كانت أقوى من عواطفي..

* * *

يقول (توم جونس) في المذياع المقطع العذب من أغنيته الأخيرة:
"لماذا لماذا يا حبيبتي (دليلة)؟..
كنت أدرك أن الفتاة لا تناسبني..
لكنني كنت ضائعًا..

كعبد لا يملك بشر أن يعتقه..".

هل رأى (توم جونس) حبيبتي (جين)؟.. بالتأكيد رآها وإلا فكيف ومن أين جاء بهذه النبرات المتحشرجة المبحوحة المحتضرة.. صوته يندى بالدموع واللوعة.. إنه يفهم ما أحس به خيرًا مني..

لكني إيرلندي..

ولأني كذلك سأطوي لوعتي في ضلوعي وأبتسم..

❋ ❋ ❋

منذ جاءت إلى الفندق وهي تعذبني..

قاسية كانت.. ساخرة كانت.. لكن فؤادي - ذلك المعتوه - لم يجد سواها كي يتعلق به..

وأنت تعرف قسوة الفتيات وبرودهن حين يعلمن أنهن لا يرغبن في الرجل الذي يخطب ودهن.. هي لا تريدني.. وتعرف أنها لن تريدني أبدًا في الفترة القادمة، لهذا لا تعبأ بي..

كل عنايتي الرجولية بها.. كل شهامتي.. كل الخدمات والتضحيات الصغيرة اليومية التي أقدمها لها تعتبرها هي من صميم حقها في الحياة.. ولا تكلف نفسها حتى مجرد الشكر..

* * *



منذ جاءت إلى الفندق وهي تعذبني .. قاسية كانت .. ساحرة كانت .. لكن فؤادي ـ ذلك المعتـوه ـ لم يجد سواها كي يتعلق بها.

"أنا.. أنا الذي لا أملك شيئًا..
أنا الذي لا أحد لي..
أهيم بك.. أريدك..
أنا لا أحد... بلا شيء أمنحه لك.
سوى.. أنني أحبك!".

توم جونس

* * *

فندقنا يعج بشرائح النزلاء الذين اعتدناهم.. دائمًا هناك (زهور الحائط) والعجائز الذين يرمقون كل شيء في فضول واشمئزاز (غالبًا ما يكونون إنجليزًا وأنا أمقت الإنجليز).. والشبان المستهترين المرحين.. دعك من الأمريكي الأشقر

ومرافقه المصري الأصلع النحيل الذي يدخن كأحد آبار جهنم..
كان الجميع عاكفين على طعام الإفطار حين صعدت في الدرج إلى الحجرة رقم ٢٩ باحثًا عن (جين).. كنت بحاجة دائمة إلى أن أراها بقربي رغم علمي التام بأن هذا لن يفضي سوى إلى المزيد من العذاب..
وحين دخلت الحجرة - وكان بابها مفتوحًا - وجدت حبيبتي في مأزق غير عادي.. أنتم قرأتم الجزء الأول وتعرفون تمامًا ما حدث، لهذا لن أعيد السرد..
فقط أقول لكم إنني كنت مسرورًا لأنني ساعدتها برغم تبجحها وفظاظتها الشديدة معي.. لم أكن لأتركها في مأزق كهذا أبدًا،

وعلى كل حال كنت قد أزمعت إذا ما ساءت الأمور أن أزعم أنني مقتحم الحجرة.. وهي حركة فروسية لا أبغي عنها أجرًا، إنما هي عرفان بالجميل لأجدادي الايرلنديين الذين منحوني دماء الشهامة..

وحتى حين أبديت سروري لانتهاء الأزمة؛ كان ردها وقحًا عنيفًا إلى درجة أن الدمع كاد يطفر من عيني.. وهمست..

- أنت قاسية يا (سندريللا)..!

كانت تجرع اللبن كقطة هانئة فرغت لتوها من التهام فأر..

لكني لست فأرًا.. ولن أكونه..

يقول (توم جونس):

- "وقفت هنالك تضحك..

رفعت السكين في يدي..
فكففت عن الضحك!".
عبقري هذا الـ (توم جونس)..!..
أحقًا لم يرها بعد؟!..
لقد تجاوز مرحلة وصف أدق مشاعري إلى مرحلة التنبؤ لي بما ينبغي عمله وما سيكون..!..
"لماذا.. لماذا يا حبيبتي (دليلة)؟
ولذلك..
وقبل أن يأتوا ليهشموا الباب..
اغفري لي يا (دليلة)..
فلم أكن لأتحمل أكثر..!".

❋ ❋ ❋

كنت هناك حين سمعت صوت الصراخ والعويل قادمًا من جهة غرفة المسنة (جونز).. وشممت رائحة الشياط..

ولمحت الرجلين - المصري والأمريكي - يحاولان تهشيم الباب حتى نجحا في اقتحامه فجأة.. ودخل حشد من القوم الغرفة وسمعت كلامًا كثيرًا عن المسنة (جونز) التي احترقت حية..

كنت أبحث بعيني عن (جين) وسط الزحام..

كانت ملقية برأسها على صدر إحدى النزيلات الشمطاوات وهي تنشج في هستيريا.. وقد انتثر شعرها على وجهها الوسيم:

- أنا السبب!.. ما كان يجب أن..

كلام كثير مختلط لم أفهم منه حرفًا...
عم تتحدث هذه الفتاة؟..
دنوت منها وربت على كتفها وبأرزن صوت همست:
- (جين) يا ملاكي.. ماذا قد حد..
كالملسوعة وثبت.. وكأن يدي هي عقرب وجدته على كتفها.. وبجنون صرخت:
- ابتعد عني!.. أنت السبب في كل هذا!
أنا السبب؟.. كيف؟.. لا أذكر أنني أحرقت المرأة على الأقل في الساعة الماضية.. على أنني أستطيع استنتاج أن شيئًا قد حدث.. وهذا الشيء له علاقة ما بما اقترحته صباح اليوم..
وعدت لغرفتي منهكًا..

كنت أعرف أن دورًا هامًا ينتظرني باعتباري الرجل الوحيد الموجود من إدارة الفندق.. لكنني لم أكن في حال تسمح لي بالقيام بهذا الدور.. سيستدعى أحدهم - فلماذا أكون أنا؟ - الشرطة ورجال الإطفاء والإسعاف..

إن يومًا شاقًا ينتظرني حتمًا ولابد أن أنال قسطًا من الراحة..

سيكون هناك شهود كثيرون يؤكدون لرجال الشرطة أنهم سمعوا الفتاة تتهمني بأنني السبب، فماذا أقول ساعتها وكيف أفسر؟...

ثم.. السبب في أي شيء بالضبط..؟

ليتني أستطيع الفهم..

* * *

على أن رجال الشرطة تمكنوا من إيقاظي..
كانت ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي حين قرعوا بابي.. وكانوا حفنة من الضباط المنهكين محمري العيون معهم مفتش بدين يرتدي المعطف الكاكي اللون الذي يرتدونه جميعًا..
وبدءوا يتأملون غرفتي في فضول، على حين أخرج المفتش مفكرة صغيرة وقلمًا من الرصاص، وشرع يسألني السؤال التقليدي الأبدي:
- أين كنت حين حدث الحريق؟
ثم....
- لماذا انعزلت في غرفتك بعدها ولم يرك أحد؟

- كنت مرهقًا مصدومًا يا سيدي..
- يقول الشهود إنهم سمعوا الآنسة (هاربروك) تلومك على أنك السبب..
- السبب في ماذا؟
- إنني من يسأل.. والآن أجب..
- البينة على من أدعي..
- إن مس (هاربروك) في حال لا تسمح بالاستجواب، وعلى كل حال دعني أؤكد لك أن كل ملابسات هذا الاحتراق تدل على أنه حدث دون يد بشرية.. لا نعتقد أنه انتحار ولا أنه حادث.. لكننا واثقون أن هناك تفسيرًا ما.. فهل نجده لديك..؟
- للأسف لا...
يقول المفتش وهو يعيد المفكرة إلى جيبه وينهض:

- طبعًا لا داعي للتأكيد أننا بحاجة إليك في الأيام القادمة.. فلا تذهب بعيدًا إلى أن أخبرك أننا فرغنا منك..

- ليكن سيدي...

* * *

ما أغربها وأطولها من ليلة!..

كانت خيوط الفجر تتسرب عبر الستائر، وكان النوم قد خاصمني حين خرجت من حجرتي أجوب ردهات الفندق المظلمة وفي رأسي ألف خاطر..

كنت أمام الغرفة رقم ٢٨ حين سمعت صوت أحدهم يهم بفتح الباب.. فوثبت بخفة للوراء - برد فعل غريزي - لأرى القادم..، واقفًا وحدي في الظلام لمحت خيالًا مألوفًا

يغادر الغرفة.. خيال امرأة.. بالتحديد خيال (جين)!..

ماذا تفعلين يا (جين) في هذه الساعة هنا؟!..

وكانت الإجابة سريعة للغاية..

إذ لمحت خيال ذلك الرجل الأصلع النحيل الذي يدخن بشراهة.. لمحته مدثرًا بالظلام يقف مودعًا إياها على باب الحجرة.. وكان يرتدي البيجامة..!

سمعته يناديها في رفق:

- وداعًا يا صغيرتي..

وسمعتها تلتفت نحوه لتهتف في شيء من اللوعة:

- وداعًا.. لقد استرحت الآن!

وفي خفة الغزلان شرعت تهرول عبر الردهة عائدة لغرفتها بينما أغلق بابه... إن هذا الذي رأيته ليس له سوى تفسير واحد.. ومع من (جين)؟.. مع هذا الخفاش الأصلع؟.. مع هذا الثعبان الذي ينفث الدخان كالغلاية؟.. أي انحدار في ذوقك وأي ابتذال..!

نيران الغيرة تلتهب في صدري وتحرق أطراف أعصابي...

كانت معه في حجرته في ساعات الفجر الأولى.. بالتأكيد ليس لتنظيف الغرفة ولا للعب الشطرنج..

وأنا.. أنا البائس المحتضر الذي حارب من أجل أن يقع على شبكية عينيك دون جدوى، وهأنتذي تبحثين لديه عن السلوى..

عن العزاء.. عن نسيان الجروح التي خلفها فيك مصرع مس (جونز)...

"لقد رأيت الضوء عبر نافذتها في تلك الليلة..

رأيت دليل خيانتها وقد سقطت ظلاله على ستائرها..

كانت امرأتي..

وحين خانتني..

غاب وعيي عني..

لماذا.. لماذا يا (دليلة)؟

كنت أدرك أن الفتاة لا تناسبني..

لكني كنت ضائعًا..

كعبد لا يملك بشر أن يحرره..".

هكذا ترنم (توم جونس).. وهكذا سمعت كلماته..

"وحين أشرق الصباح..
وحين ذهب ذلك الرجل..
كنت هناك..
عبرت الطريق إلى دارها ففتحت لي الباب..
وقفت هنالك تضحك..
رفعت السكين في يدي فتلاشت ضحكتها..!".

* * *

كان قلبي يعمل بسرعة..
بمعنى أصح لم يكن لعقلي دور فيما يحدث.. انتقل مركزي الحركي إلى الصدر ليسيطر على خلجاتي وتصرفاتي، فقط ظل عقلي هناك يراقب ما يحدث..

توجهت إلى المطبخ وأخذت سكينًا..
أكبر سكين وجدتها هنالك ودسستها في ثيابي..
سيكون أمر (جين) سهلًا.. أما الآن فمن واجبي أن أتخلص من هذا الوغد أولًا.. لن أكون نذلًا مثل (توم جونس) فأترك الرجل سالمًا وأنتقم من المرأة.. بل سأبدأ بالرجل..
اسمه (رفعت إسماعيل).. في العقد الخامس من عمره.. مصري الجنسية.. أعزب.. وطبيب..
أحب أن أعرف كل شيء عن أول إنسان أقتله في حياتي..
هذا التعس لن يعيش ليدخن علبة سجائر أخرى..

في تؤدة - كخطى القدر - أمشي نحو غرفته وأقرع الباب.. صوت رجل يتنحنح.. وخطا تدنو من الباب..

"سامحيني يا (دليلة)..

لم أكن لأتحمل أكثر..".

....

* * *



توجهت إلى المطبخ وأخذت سكينا ..
أكبر سكين وجدتها هنالك ودسستها فى ثيابى ..

الجــزء السادس
عن (باتريك) و (جين) وآخرين
يحكيه (هاري شلدون)

"قفل مهشم ليلًا.. عجوز محترقة عند منتصف الليل.. حسناء مذعورة عند الفجر.. عاشق سفاح مع بداية اليوم.. إله أزتيكي غاضب..، تبًا لها من عطلة،

وتبًا لـ (رفعت إسماعيل) من رفيق في الاجازات!".

* * *

يقول (هاري):
في غرفة (رفعت) ظللنا طيلة الوقت نناقش - مع عالم الآثار الانجليزي (هنري بنسون) - سبيلنا للخلاص من لعنة (شاكال)..
وكما عرفتم استقر رأينا على ألا نترك (رفعت) وحيدًا لحظة واحدة..
وهو - كما تقدرون - ليس حلًا جذريًا إلا أنه كاف إلى أن نجد طريقة أفضل..
أما عن نفسى فلم أحاول أن أنظر إلى القلادة فلربما وقع المحظور واستطعت فهم الكلمات المكتوبة.. وعندئذ..!..

لا أذكر متى نمت جوار (رفعت) في الفراش على حين جلس د. (بنسون) يطالع بعض الكتب في ركن الغرفة على ضوء الأباجورة الخافت..

أية كوابيس زارتني..!، أي هلع شعرت به!.. كنت مرة مومياء مشتعلة يسيل منها الدهن في احتفال همجي.. ومرة كنت أركض مفزوعًا بين الأحراش بينما يطاردني شيء لا أدري كنهه لكني أخشاه كثيرًا..

كنت أسمع سعال (رفعت) الخشن فأمزجه تلقائيًا بالحلم ثم أواصل النوم باحثًا عن عوالم مفزعة أخرى..

وصحوت غارقًا في العرق البارد..

كان نور الفجر يملأ الغرفة وعلى مقاعد الأنتريه وجدت د. (هنري) جالسًا وجواره د. (رفعت) بثياب النوم.. على حين كانت الخادمة الحسناء (جين) جالسة على مقعد ثالث مرتدية روبًا على قميص النوم وكانت الدموع في مرحلة الجفاف على خديها..

ماذا حدث؟.. وماذا جاء بهذه الفتاة ها هنا؟..

وثبت من الفراش منكوش الشعر - كالمجانين - ووقفت وسط مجلسهم متوقعًا أن هذا كله كابوس جديد..

قال د. (رفعت) وهو يشير نحوي ونحو الفتاة:

- مس (جين هاربروك).. مستر (شلدون).. أعتقد أنكما يعرف بعضكما البعض..!

كدت أموت خجلًا من مظهري المزري الذي لا أسمح لامرأة سوى زوجتي أن تراه.. وهززت رأسي في حرج محييًا..

قال د. (بنسون) وهو يشير لي كي أجلس:

- لقد جاءت مس (هاربروك) كي تقدم لنا اعتذارًا صغيرًا.. لقد اعترفت أنها من عبث في حجرتي - بدافع الفضول طبعًا - وأخفت القلادة في غرفة التعسة مس (جونس)، وهي تعتقد - بل هي واثقة - من أن القلادة لها دور فيما حدث.. وقد جاءتنا باكية لتعترف وتريح ضميرها.. وكانت قد شاهدتنا جميعًا ندخل غرفة د. (رفعت)

فأدركت أن سرًا معينًا يربط بيننا جميعًا.. ولم يخب ظنها كثيرًا...

قلت في غباء:

- إذن مس (جونس) لم..

- لم تسرق القلادة لكنها بالتأكيد عثرت عليها وقرأت المكتوب عليها.. وهذا يفسر لنا كل جوانب اللغز..

قالت (جين) وهي ترتجف وتعض أناملها:

- في البدء ظننت أن تدخينها هو سبب الحريق.. ثم....

- هل كانت المرحومة تدخن؟

- نعم.. سرًا!.. ولم تكن تظن أنني أعرف..

بدا الاهتمام على وجه د. (هنري) وتبادل و (رفعت) نظرة ذات معنى.. ثم قطب جبينه وغمغم:

- تدخين مرة أخرى.. هل فهمت؟..

ثم فتح أنامله وبدأ يعد عليها:

- أولاً.. شمعة في غرفة (فيتزجيرالد).. سيجار مع لورد (كينزي).. لهب (أسيتيلين) مع اللص الذي سرق خزينتنا.. سيجارة مع مس (جونس) ومع د. (رفعت)..

سألته في حيرة وأنا أحك رأسي:

- هل تعني أن كل هذه الحوادث حرائق عادية..؟.. وكيف لم يحترق سوى الضحية..؟.. حتى ثيابه ظلت سالمة..

- لم أقل شيئًا عن حرائق عادية.. أعني فقط أن مصدرًا للهب لابد وأن يوجد على مقربة من الضحية.. لأنه (من النار تأتي النار).. إن شروط الاشتعال الذاتي تتحقق إذا ما تواجد الشخص وحده وكان جواره مصدر - ولو كان واهنًا - للنيران..

في إرهاق حك د. (رفعت) صلعته وخلع النظارة:

- إن هذا سبب وجيه حقًا للإقلاع عن التدخين..

- بقي أن نعرف معنى (في الرماد يفني الرماد) لأنني أعتقد أن خلاص هؤلاء التعساء يكمن فيها..

أخذت أفكر عاصرًا ذهني بحثًا عن فكرة مناسبة للموقف.. في الرماد يفني الرماد..

هل هي مجرد صيغة بلاغية؟.. ما معناها أصلًا؟.. أنا أمقت هذه اللهجات المتحذلقة للنبوءات القديمة..

وهنا وجدت د. (رفعت) يشير للفتاة في رقة وهو يرمق ساعته أن الوقت قد حان لتتصرف فأمامها يوم شاق..

نهضت الفتاة معه وفتح لها باب الغرفة.. ثم حياها وعاد ليجلس معنا مشاركًا إيانا حيرتنا وتساؤلاتنا

وتمضي الدقائق..

هو ذا النهار الفتي يقتحم الغرفة بعد أن رحل الفجر الناعس..

دقات متتابعة على الباب..

أشرت لهما أن يظلا جالسين واتجهت للباب كي أفتحه..

وجه (باتريك أوكونور) الساقي الإيرلندي الصميم يتبدى لي.. ثم نظرة ذاهلة في عينيه.. نظرة مسحت الغرفة سريعًا وحركة تراجع لم يكملها..

وسمعت صوت الرنين..

السكين التي كان يخفيها في ثيابه سقطت منه على الأرض، حاول أن يستدير لكني لويت ذراعه بعنف ثم وجهت له ركلة بركبتي أسفل ظهره أطفأت حماسه قليلًا.. ثم دفعته بعنف إلى داخل الغرفة..

صاح (رفعت) في دهشة وهو يعيد منظاره إلى أنفه:

- (باتريك)؟.. ماذا أتى بك هنا؟

قلت من بين أسناني وأنا أوجه له ركلة أخرى (للساقي وليس (رفعت) طبعًا):

- ماذا أتى به هنا؟.. يا له من سؤال!.. أتى ليذبحك طبعًا!
- يذبحني أنا؟.. وماذا فعلت له؟.
- هذا هو السؤال الذي سيجيبنا عنه بكل أمانة..!
على المقعد جلس الفتي مداريًا وجهه بكفيه... وبعد دقائق من النشيج فهمنا منه أنه ظن أن الفتاة كانت مع (رفعت) لغرض لا داعي لذكره.. متهورون هم هؤلاء الإيرلنديون.. متهورون وحمقى.. متهورون وحمقى وعميان... (رفعت)؟!.. ألا تجد فتاة سوى (رفعت)؟.. (رفعت) الشبيه بمكنسة تساقط القش من عليها؟!.. (رفعت) الذي يسعل كمصحة درن كاملة؟

- أعتقد يا بني أنك تسرعت كثيرًا.. لقد جاءتنا فتاتك كي تصارحنا بما حدث أمس في غرفتي.. إن لهذا علاقة قوية باحتراق السيدة العجوز.

قالها د. (بنسون) وهو يقدم للفتي قدحًا من القهوة من ترموس وجده جواره.. كنت قد طلبت هذه القهوة بالأمس لبداية الأمسية وقدم له (رفعت) سيجارة.. لكن الفتى لم يمد يده للقدح.. كانت عيناه الزجاجيتان متصلبتين على القلادة الملقاة على المائدة أمامنا.. لمحته يرتجف.. يبتلع ريقه.. شعر رأسه ينتصب..

في هلع صاح د. (بنسون) وهو ينتزع القلادة من أمامه:

- يا للهول!.. لقد فهم النقوش!.. إذن هو لم يلق نظرة عليها حين وجدها مع الفتاة أمس!

لكن الفتى كان قد تحول إلى كتلة من السعار البشري.. وثب كالملسوع إلى القلادة فانتزعها من يد د. (بنسون).. ثم عاجلني بركلة في أسفل بطني جعلت الهواء يخرج من أذني.. أما (رفعت) المتهالك فلم يتحمل سوى دفعة واحدة جعلته يقفز مترين إلى الوراء..

وفي اللحظة التالية كان الفتى يركض هاربًا من الحجرة..

صرخ د. (بنسون) وهو يركض خلفه:

- الحقوا به!.. إنه يبحث عن فرصة يستكمل فيها قراءة المكتوب.. إنه يسير

نحو هلاكه مفتونًا..
تمالكت نفسي ووثبت خلف د. (بنسون) عازمًا على أن أكون الأول.. وخرجت للردهة.. وهنا سمعت صوت (رفعت) يئن قادمًا من الغرفة..
- (هاري)!.. لا.. تتركـ......
يا للمصيبة!.. لقد نسيناه وتركناه في الغرفة وحيدًا.. مع ماذا؟.. مع لفافة التبغ التي قدمها للفتى...
عدت له جريًا فوجدته في أسوأ حال.. كان ساقطًا على الأرض والعرق يغمر جسده، وأكاد أقسم أن رائحة شياط بدأت تنبعث من شعره.. أطفأت لفافة التبغ وساعدته على النهوض..
- (شاكال).. لقد.. شعر.. برحيلكم..

- اطمئن أيها العجوز.. لن نتخلى عنك بعد الآن.. قلت لك مرارًا أن تكف عن التدخين وعن تقديم السجائر للناس..

وأسند رأسه على صدري وشرعنا نمشي للردهة الخارجية.. كانت هذه هي اللحظة التي دوت فيها الصرخة الثنائية المروعة.. هرعنا جارين إلى مكانها..

كان هذا هو المطبخ.. جوار الموقد المشتعل..

وكان هناك جسدان متلاحمان ينبعث منهما الدخان واللهب الأزرق الكئيب.. لكن أبشع ما في الموضوع هو أن ثيابيهما لم تحترق.. كان أحد الثوبين هو ثوب الساقي (باتريك).. أما الآخر فثوب (جين) خادمة الغرف الحسناء..

كان الجسدان يتلويان.. لكن ملامحهما قد اختفت نهائيًا في سحابة من الدخان والرماد.. وكان د. (بنسون) عاكفًا في هستيريا على دلو من الماء وضعه على الحوض يحاول ملأه ليطفئ هذا اللهيب..

وهنا سمعت (رفعت) يصيح - برغم إنهاكه - وهو يسد الطريق بجسده:

- لقد انتهيا يا د. (بنسون)..!.. انتهيا!.. ولا جدوى من محاولة إنقاذهما.. دع الرماد يفنى.. ففي الرماد يفني الرماد..!

وهنا سمعنا صوت التمثالين الفحميين يتهشمان.. وعلى الأرض تهاوى الرماد وسقط الثوبان المفرغان سالمين لم تمسهما النار..

- هل ترى؟.. ها هي ذي القلادة!..

كان د. (رفعت) يشير إلى شيء معين بين الرماد..

- هل ترى؟.. إنها تتفتت..!.. تتفتت!.. لقد فني الرماد في الرماد كما قالت اللعنة..

بدأ الهدوء يسود المكان فيما عدا صوت ألسنة اللهب المحتضرة الأخيرة تقرقع في سكون.. وسمعنا صوت نزيل أو أكثر يسأل عما حدث..

كان د. (بنسون) يلهث وقد شحب وجهه كالموتى..، وفي تؤدة بدأ يشرح لنا ما حدث.. وكيف حدث..

كان تفسيره مقنعًا.. لكنه مريع.. مريع..

لقد انتهت المأساة.. لكنها ستظل حية في ذاكرتي إلى الأبد..

ومن بعيد سمعت صوت (توم جونس) يترنم في مذياع بعيد:
"اغفري لي يا (دليلة)..
فلم أكن لأتحمل المزيد..".
....

❋ ❋ ❋



الخـاتمـة

تعليق على ما حدث

يحكيه د. (رفعت)

انتهت لعنة (شاكال)..!
مثل أي شيء مفزع انتهت.. ومثل كل ما هو مبهج انتهت..
لقد وجد الفتى الأيرلندي المطعون في عاطفته السبيل للقضاء على القلادة..، فهو فهم الكلمات وأيقن أن (شاكال) يناديه وأنه

لابد سيلبي النداء.. لكنه لم يرد أن يموت وحيدًا..
استجمع إرادته وجرى من الغرفة باحثًا عن (جين).. وحين وجدها في المطبخ واقفة أمام الموقد؛ وضع القلادة أمام عينيها..
كان يعرف ويؤمن أنها ستتمكن من قراءة الكلمات.. كان واثقًا من هذا ثقته من أنهما سيموتان معًا ما داما لن يعيشا معًا..
وحين قرأت الفتاة الكلمات أدركت أن (شاكال) يناديها، وعانقها الفتى بينما نيرانه تشتعل.. ونيرانها تشتعل هي الأخرى.. كانا يحترقان معًا...
ربما للمرة الأولى في تاريخ هذه اللعنة..

أية نيران انبعثت من قلب الفتي المكلوم!..
وأية حرارة تصاعدت من صدره الجريح..!... كان اللهب أقوى من قدرة القلادة ذاتها.. في رماد الفتى فنى رماد الفتاة وذابت القلادة..
لقد تكفل انتقام الفتى بتدمير مصدر اللعنة ذاته..

❋ ❋ ❋

وماذا عني أنا؟..
لقد عشت فترة لا بأس بها من الرعب وتوقع الهلاك، لكنني بعد تجارب رصينة أجراها علي د. (هنري بنسون) أيقنت بأنني نجوت للأبد من مخالب السحر الأسود الذي

قذفه كهنة (شاكال) في طريقي منذ قرون عدة..
لن أحترق ذاتيًا في هذا العالم وأدعوا الله أن يعصمني من نهاية مماثلة في العالم الآخر..
ادعوا الله - كذلك - أن يهب لي القدرة على النسيان.. فقد كان ما رأيته في هذه المرة بالذات أكبر من تحملي..
ثمة نقطة أخيرة أريد أن أضيفها..
من البديهي أنني لم أتمكن من لقاء مس (جونز) ولا (باتريك) لمعرفة القصة على لسانيهما لكنني قمت بصياغة أدبية لما يمكن أن يكونا قد كتباه لو أنهما كانا من أرباب القلم..

والآن يمكنني أن أضع القلم بعد أن انتهيت من حكايتي الثالثة عشرة والتي أرجو أن تكون قد راقت لكم..

في المرة القادمة نمضي معًا عبر الثلوج باحثين عن رجل الثلوج الرهيب الذي قالوا عنه الكثير من الهراء.. لكنهم لم يسألوني قط أنا الذي رأيته رأي العين..

ستروق لكم حكايتي القادمة كثيرًا، وسترتجفون لا يدري أحدكم أمن عواصف الجليد أم من الهلع..

ولكن هذه قصة أخرى.

د. رفعت إسماعيل

القاهرة ١٩٩٣

[تمت بحمد الله]

رقم
الإيداع:
١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة
٨ و ١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -

٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

مقدمة

١ - رحلة جديدة..

الجـــزء الأول

الجـــزء الثانـي

الجزء الثالث

الجـــزء الرابع

الجـــزء الخامس

الجـــزء السادس

الخـاتمـة

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايــات تحـبس الأنفــاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة اللهب الأزرق

إنهم يحترقون .. يشتعلون .. فلا يبقى منهم ســوى رماد وألســنة من اللهــب الأزرق .. إنهــم يتلاشــون من خريطة الأحياء فى ثــوان. لا أحد يعرف لمــاذا .. و لا أحد يعرف كيف .. لكن د. (رفعت إسماعيل) كان هناك ..
و ها هو ذا يفتش عن السر ..
و نحن معه....

المؤلف



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة رجل الثلوج

الثمن في مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

Notes

[←1]

الأرقام العربية هي الأرقام التي يستخدمها الغربيون الآن على غرار 29، 28 أما ما نستعمله نحن في العربية فهو أرقام هندية.